

الْمُنْقَلَبُوطِيُّ

وَأُرْهِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

فَكَرَّ وَأَسْلَبَا

تأليف

عبدلن بن موسى عجلان

الْمُنْقَلَبُوطِيُّ

وَأَثَرُهُ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

فَكَرَأُوا سَلُونَا

تأليف

عبدالله بن موسى عجلان

دار لوزان للطباعة والنشر - السيد خليفة
٢١١٣٢١ م

الفصل

إلى الذين أمدوني بتشجيعهم ومؤازرتهم ، ومنحوني - فوق ما أستحق
من مال ، وجهد ، ووقت ولولام لكان هذا الكتاب نسيا منسيا .

وإلى الذين يريدون أن يطلقوا نور الحضارة العربية بأفواههم ، وكلما
علا صوت فيه أصالة ، عضوا عليه الأنامل من التيط . قل موتوا بغيظكم .

إلى هؤلاء وأولئك إهدى هذا الكتاب .

عباس يوي عجلان

مقدمة

تهتم الأمم ذات الحضارات برجلاتها الذين أسهموا في بناء النهضة وتشيد أسسها . ولم يكن ذلك ضرباً من الرجعية ، أو منحنى من مناحى التخلف ، ولم تزل المطبعة تمدنا بالدراسات الجيدة والمتنوعة عن سوفوكليس ، اسخيلوس ، هوميروس ، وشكسبير ، وراسين ، وكورنى ، وشاتوبريان ، وهوجو ، وشعراء الرومانسية والرمزية والتعبيرية ...

ولكننا في مصر . أتى علينا حين من الدهر كنا نحسب إحياء ذكرى العظيم نكوصاً ، وإقامة تمثال لرعيم ردة ، وتأليف كتاب عن رائد تخلفاً ورجعية . . . ١١٠٠

وارتفعت أصوات منكرة تنادى بؤاد الثقافة العربية والدراسات ذات الصبغة الجادة التي لا تتكرر التطور ، ولا تكفر بالإصالة .

وكم جر ذلك من الويل والحرب على ثقافتنا وحضارتنا ، وغدونا نضرب في يدها من التيمم الثقافي المصرى الذى يصخذ سمحة لا تشاكلة ويصعدت بلسان لا يعرفه ، ويقيم الأعمال بميزان وارد من مجاهل سيديا . . . ١١٠٠

ومن هنا فرض على الأدب العربى والدراسات أنماطاً من القول دخيلة ، وارتمت إلى سماء الشهرة أسماء في طام الأدب والفن ضحلة وهزيلة . .

خلقها للزوجون والرجفون ، وهتف لها من في صدره دخل على حضارة الشرق . وآذرت عوامل وعوامل .. لتجعل من الأقزام عمالقة ولكن هيات فقد بار صنعهم ، وكانت ثمرة ثمرة من يتفخ في رماد ومن يطلب في الماء جذوة نار . . . 11

وثمة ظاهرة أخرى في حياتنا الأدبية والفكرية ألا وهي ظاهرة التجمع والتناصر « الشل » ومن المؤسف أن نجد لدينا من يعبدون الاسماء ، ويقدمون الأشخاص . . . ومن البين أن الثقافة لا تعترف بالعصية ، ولا تؤمن بالتحزب المسرف . .

ونشأ عن ذلك شيوع بعض الكتابات التي تنقص من قدر أعلامنا لترفع من قدر من بصحت الكاتب عنه ، وذلك زعم واه ، وحجة داحضة . وغدونا قراء كتبنا نخال أصحابها أن رفعة شيخهم لا تكون ^{الخط} بالخط من قيمة سواء . . . وهذا تهليل لم يؤلف في حضارتنا كثيرا ولم يجر على سنن العلم وفضله . . . 11

وترتب على ما أسلفت - وغيره - من أسباب أن ظن القارئ أن الأديب أو الفنان الذي يقرأ اسمه ويسمع صوته ، ويرى صورته هو القيم بالتقدير الجدير بالاجلال ، ونسب أو تناسى أن الشهرة كم تخلق من هالة زائفة ولربما لم اسم أديب وليس لصاحبه من ألقابه ونعوته إلا التفاق والمين . .

ومن هنا شاع الضعف الابداعي ، ونما الفتور والخور لدى بعض الناس .
وغدت حياتنا الثقافية ضرباً من « البورصة » ونمطاً من التلاعب والتهرج ١
ولقد آن لتلك السحب أن تنقشع ، وحان أن يتأى عن بلاد الحضارة
الشرقية كل مستهتر مثبط ، أو متعصب مزمّت ١٠٠

والمنفلوطى من الرجال الذين كانت لهم الريادة والسبق في خلق المناخ
الأدبي الحديث وتطوره .

وخليق بنا - ونحن نرنوا إلى النهضة - أن نعترف لكل ذى فضل فضله
ونعترف لكل عظيم بما يستأهله من إجلال وإكبار ١١٠

وما أنا بمنفلوطى الزعة ، وما كئانى عن الرجل غير الاعتراف له بما
سلب منه ، والشهادة له بما يستحقه . في موضوعية وحيدة ، وكل من حمل
القلم ، وكتب مناخاً ، أو ميثاقاً ، أو منها ، أو معطفاً بالعزية فهو ثرات تجب
العناية به ، والاهتمام بما كتب ، وإن كنا لانواليه ونعقده . .

وخليق بنا ونحن نتبوا مكانة متميزة في العالم قديماً وحديثاً أن نتأى
عن الاسراف القبلى ، والمبالغة الاقليمية ، والزاوية بمن نختلف معه أو
يختلف معنا ١٢٠

ولقد قدمت المنفلوطى الى القارىء بعد دراسة وتمحيص . وحاولت أن
ألم بأدب ذلك الرجل الذى حاول بعض الدارسين أن يجعلوه منشأً يعنى

باللفظ والصياغة . ومن هنا حرصت على أن أوضح أثره في الفكرة .
وفي الأسلوب ..

والمثفلوطى يحتاج إلى دراسات كثيرة ، ولا بأس على أديب أن يكتب
عن أسلوب المثفلوطى ، أو شعر المثفلوطى ، أو المثفلوطى والمقال الأدبى .
أو أثر المثفلوطى في القصة المعاصرة ، أو الأدب الدينى عند المثفلوطى ..
أو النقد عند المثفلوطى . إلى غير ذلك من الدراسات الجيدة التى آمل أن
يكتب عنها أباؤنا . ومذلك عليهم بهزيز .. وما توخيت في كتابى غير
الصدق ، ولم ترمى عظمة العظماء ، ولا ضجيج التاجين لهم فيه إحسان .
فلك ششنة أعرفها من أخنم ..

وعنى أن نكون قد رغبتا عن البهتان ، وأردنا أن نتصف لأنفسنا ،
ولم نعد بالذين إذا رأوا سبيل النى يصخذوه سبيلا ، وإذا رأوا سبيل الرشد
لا يصخذوه سبيلا ..

فإن الحق أحق أن يتبع والزيغ مهما علا وارتفع لا بد أن يقع ٥

عباس يومى هجلان
الاسكندرية

المحتويات

أولاً : الباب الأول

الفصل الأول

صفحة	
٣	(١) نسبه وموطنه
٦	(٢) حالته الاجتماعية
٩	(٣) مناصبه
١٠	(٤) ثقافته

الفصل الثاني

١٨	(١) عصره ومجتمعه
٢٢	(٢) الأدب في بداية هذا العصر
٢٨	(٣) أعمال المنفلوطي الأدبية
٣٢	(٤) الأساليب السائدة آنذاك
٣٥	(٥) طريقة المنفلوطي
	(٦) جوانب مساعدة : الجانب التكويني ، والجانب الثقافي ، والجانب التوجيهي ، جانب الذبوع
٣٨	

ثانياً : الباب الثاني

٤٦	دراسة موضوعية في أدب المنفلوطي
٤٧	(أولاً) الشباب
٥٢	(ثانياً) التعليم
٥٨	(ثالثاً) الأخلاق والزراعة
٦٥	(رابعاً) المرأة

منحة

٧٤

(خامساً) الدين

٨٩

(سادساً) موضوعات أخرى

٩٣

المسرح الفكاهي ، الإحسان

ثالثاً : الباب الثالث

٩٨

أثر المنطوق في الأدب ، أحكام عامة

الفصل الأول

١٠٣

(أولاً) في الفكر

١٠٤

الريادة

أثره في أحمد حسن الزيات ، أثره في د. طه حسين ،
أثره في محمد تيمور ، وشحاته عيد ، محمود تيمور ،
ومحمود طاهر لاشين ، وحسن محمود ، وإبراهيم
المصري ، وصلاح ذهني ، ومحمود كامل ، ومحمد
سعيد العريان ، وعبد الحميد جوده السحار ، وأمين
يوسف غراب ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبد الله
عنان ، وفكري أباطه ، ومحمد توفيق ديت ، وغيرهم
من الأعلام

الفصل الثاني

١٣٩ - ...

أثر المنطوق أسلوباً

...

مناخ البحث

...

للمراجع

...

التصويب

بسم الله الرحمن الرحيم الفصل الأول

نسبه وموطنه :—

هو السيد / مصطفي لطفى المنفلوطى بن محمد حسن لطفى المنفلوطى ،
ويشير اهتمامنا هنا كلمتا السيد ، والمنفلوطى ، والسيد مصطلح يطلق عادة على
الأشراف فى مصر الذين يتسمون . إما إلى الحسن بن على أو الحسين بن على
رضى الله عنهم وعلى هذا فهو مصطلح شيعى . وله دلالة مذهبية ونسبية .

أما المنفلوطى فنسب إلى (منفلوط) وهى عاصمة إقليم (مركز) من أقاليم
أسيوط — فى صعيد مصر . وفى هذا معرفة بمكان ميلاده وتربيته ولأسرة
أدينا مكانة كبيرة فى تلك المدينة (فقد نبع — فيها الأسرة — من نحو مائتى سنة
قضاة شرعيون وتقباء أشراف) .

ولا ريب أن لتلك الأسرة من العادات والأعراف وليثة المنفلوطى من الضوابط
والقيم ما سيمم أدينا بطابعه . ويخلع عليه ما يخلع من صفاته ١ —

ومن العجب أن تجد اخلاقاً فى تجديد تاريخ ميلاد المنفلوطى . إذ يزعم خير
الدين الزركلى أنه (ولد فى ١٢٨٩ هـ الموافق ١٨٧٢ م) على حين قد كررنا
النظرات — وهى أقرب الى الصدق — أن المنفلوطى ولد فى عام ١٢٩٣ هـ

١ — الاعلام . الزركلى ج ٨ الطبعة ص ١٤٥

٢ — المرجع السابق .

الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٨٧٦ م (١)

ونشأة المنظوطى لا تختلف عن نشأة أترابه من أولاد الريف المصرى فقد ذهب الى الكتاب ليطلع مبادئ القراءة والكتابة وليحفظ القرآن وليستعد للذهاب إلى الجامع الأزهر متارة العلم وكعبة القضاة من طالبى المعرفة ومبتغى الثقافة فى تلك الأيام (٢)

وفى منظوط تلقى الرجل أول مبادئ القراءة فى كتاب الشيخ جلال الدين صفحظ القرآن الكريم ولاتقى فى المكتب ما لاقاه أترابه ومن على شاكلة (من المترودين على تلك المكاتب) وفى منظوط قسم أول غير الأدب . وذاق من سلافة الشعر ما ذاق حينما تردد وهو صبي على الأستاذ عبدة هانم (٣) وهو رجل كان محباً للأدب عاملاً على اشاعته بين زائريه .

ولقد تعرض للمنظوطى وهو صبي لأحداث جسام أثرت فى حياته وكلت لها أثر فى وجدانه ومألفته . ولعل من أم تلك الأحداث ذلك النزاع الذى نشب بين والديه واحدم ، ولم تجد معه تلك المحاولات التى بذلت لرأب ذلك الصدع وأدى الأمر الى الطلاق فذاق الصبي مرارة البعد وتجرع أطويق الحسرة . ومما زاده أسى ولوعة وجبلة على الحزن والدمعة ان والدته بعد أن بان من أليه تزوجت من رجل غريب بقيم ، غير بعيد ويقطن فى بلنتهم . (٤)

(١) - مقدمة النظرات ص ٩ سنة ١٩٩٠ م

(٢) - تراجع فى ذلك ما كتبه طه حسين فى ج ١ من الأيام .

(٣) - مقالة الأستاذ الطناحى . الهلال ديسمبر ١٩٥٤ م

(٤) - الأديب الاشتراكى . محمد شلبى ص ٢٢ .

ولكن المنطوطى كان يعد العدة ليجاور فى الأزهر فضى لا يلوى على ثوبه
حتى ظفربما يغنى ودخل الأزهر ، وإذا كان الرجل لم يحظ بالهدوء ولم ينعم
بالاستقلال فى بيته فان حياته فى الأزهر كانت مفعمة بالأسى مليئة بالمقارنات
والعجائب (١)

وفى القاهرة ارتبطت حياته بثلة من الأزهرين الذين أثروا فى الحياة العامة
من أمثال - سعد زغول واندادة - ونستطيع أن نقول فى اطمئنان أن حياة
المنطوطى ذاتوشائج ثقافية بالاستاذ الإمام ، وظيفية بسعد باشا وصحافية بالشيوخ
على يوسف وأسريه بزوجه الأولى .

وحضر المنطوطى دروس الأستاذ الامام محمد عبده بالأزهر و كان وحي الله
كما يسميه الزيت يختص المنطوطى بمزيد من رعاية واهتمام ، ويث فيه حب الأدب
والا كثار منه ، ولقد أدى هذا الحذب بالمنطوطى الى الاعتماد عن جاه الأستاذ
الامام وفى فى عضده قنوت منه فى تحصيل العلوم الأزهرية حتى أخفق فى
نيل الشهادة الأزهرية .

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات (المنطوطى لا يعمل جداً لشهادة الأزهر
ولمّا كان - يعتمد فى نيلها على جاه الامام (٢)

وكان الرجل يمكن للامام من الحب والإعجاب فوق الكثير ويتبدى ذلك
جلياً فى حرصه على أن يكون متفذاً لسياسة الأستاذ الامام فى الأسلوب وطريقة
الكتابة ومعالجة قضايا الدين والوطن - كما رسمها له أستاذه . ول سوف

(١) - النظرات المقدمة ج ١

(٢) وحي الرسالة ، للزيات ج ١ ص ٣٨٩ ط ٦ مكتبة النهضة

نعرض لملاقته بالشيخ محمد عبده في حديثنا عن قضاة :-

حاله الاجتماعية :-

لقد انحدر المنظوطى من أسرة عريقة في الدين ذات نسب وحسب فأبوه شريف جسيق حريص على قيم وتقاليده وأمه سيدة من أسرة الشوريجي التي تنتمي الى الارومة التركية .

ولقد أشرت الى أن حياة والديه الزوجية لم تكن مستقرة وانتهت بالطلاق البائن ولا ريب أن تلك البيئة من الأثر ما سوف يترك كما أشرنا آنفاً سمات خاصة لدى أديتنا ، فلايمان الجم والولع بالأمور الدينية والإقتداء بالسلف كل ذلك كان من خلايق المنظوطى (كان منشئاً في قوم بداء سذج لا يتفنون بدينهم ديناً ولا يوطنهم وطناً) ١

ولقد أثر فراق والديه في خلاله تأثيراً كبيراً فلم يكن يحب المحافل وإنما آثر العزلة وأحب الانطواء والتفرد لا يجارى متحدثاً ولا يجارى أحداً إلا وراء ظاهراً ، يصحفظ في حديثه ويوجد من شراً إذا تحدث أو خطب (كان صحيح الفهم في بطىء سليم الفكر في جهد دقيق الحس في سكون هيبوب اللسان - في تحفظ ، وهذه الخلال تظهر صاحبها للناس في مظهر العمى الجاهل

(١) — النظرات ج ١ الطبعة الأولى .

(٣) — وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٧ ط ٦ مكتبة النهضة .

ومرد ذلك في نظري الى أثر التربية الأولى وبقيّة من بقايا النشأة واكتنه طوال حياته (فهو لذلك يبتغي المجالس ويجنب الجدل ويكره الخطابة) ١ وعلى عادة القوم في تلك الأيام تزوج المنفلوطي وهو صبي من سيّدة تكبره وربما كان في اثرائها ما يفرى أولى أمره باقدامهم على ذلك المركب الوعر واقترن مصلطى لطفى المنفلوطى الطالب بالأزهر بالسيدة / آمنة محمد أبو بكر الشيخ والتي كانت ناظرة على ثلاثمائة فدان وتمتلك سبعين فدانا ، (٢) ولقد أسفر الزواج عن خمسة من الولدان ماتوا جميعاً . وتوفيت زوجته تلك في سنة ١٩١٠ م وورث منها ما ورث .

والمنفلوطي حياته جديّة مقفّرة تأزّه بألمها ، وتمضه يأسها وتركه نهب الظنون ونستطيع أن نفهم ما تنطوى عليه نفس المنفلوطى اذا قرأناه

أن عيش المرء في وحدته	خير عيش كامل ، غير هناء
قلوبى شر وم دائم	وشقاء ليس يحكيه شقاء
وفقر لظى حلسد	وغنى يستذل الفقراء
أن عيش المرء فيهم ذله	وحياة الذل والموت سواء

وعلى تلك النغمة الحزينة عزف الرجل آلامه في شجن ، وتحدث عن ذاته في أمى ، معرباً عن فؤاد مكحوم ونفس غارية .

١ — وحى الرسالة . الزيات ج ١ ص ٢٨٧ ط ٦ مكتبة النهضة .

٢ — الأدب الاشتراكي . محمد شلبي ص ٢٣

٣ — الكواكب والمواكب ص ٤٦ . محمد عبد المجيد .

ومن كان ذا نفس كنفس قرمحة من ألم - لا يعنى يوصل ولا هجر
كأنى ولم أبلغ ثلاثين حجة اذا ما مشى فى السهل فى جبل وعمر
اذا شاب قلب المرء شاب رجائه وشاب هراه وهو فى صحوة العمر
حيث بأمال قلما كذبنى قنعت فلم أحفل بقل ولا كثر
جزى الله عنى اليأس خيراً فانه كفى ما ألقاه من أمل مر

وكان لزاما على الرجل أن يقرن بامرأة أخرى ، وفى هذه المرة تزوج من
القاهرة حيث يقطن فى شارع أم الغلام بالحسين ولعل زواجه فى ذلك كان
موفقاً فالسيدة رتيبه حسنى القاهرية تعرف قدر زوجها وتؤمن بما لديه من
موهبة وتكلؤه وترعاه ولقد أنجب منها خمسة أبناء .

وكان المنغلوطى فى حياته العائلية كما يقص ابنه حسن رفيقا بأهله رحيما
ودودا ، يث فيهم المم ، ويحضهم على الفضائل وكم اصطحب أهله إلى المسرح
وأذن لهم فى ممارسة بعض الأنشطة . والمنغلوطى الحسينى لا يجد بدا من ممارسة
الاساليب المتبعة التى ينحدر منها ، والتى سوف تؤثر فى تركيبه الجسمانى ، وتخلع
عليه من قوانين الوراثة ما تخلع - فالرجل صعيدى عربى ، فهو متين البنيان
عريض المنكبين ، تبدو عليه بلامح التتوة وهذا ميراث أبوى ، أموالدته التركية ،
فقد ورث منها الوجه المشرق ، والقسامة والملاحة ولون البشرة والعيين ، وربما
بعض الخلال التى تمت الى التزمت والتريت ، يصفه الزيت - وصفا بليغا حين يقول
(رجل مجتمع الأشد ، مربوع الخلق ، محتلى البدن ، غليظ الشارب ، حسن
السمت) (١) .

١ - وحى الرسالة ج ١ ص ٦٣٧ ط ٦

ثم هو بعد ذلك متواضع شديد التواضع ، لا يخالطه كبر ولا يحتنفه عجب ،
ونعته الاستاذ طاهر الطناحي قائلا . (كان السيد المنفلوطي متواضعا رقيق الحاشية
هادئ الطبع فكنت اذا اجلسيت إليه تشعر بهدوء ورضا) (١) .

واذا كان مظهر المرء وعلايته يتم عن مخبره ومحتواه فان المنفلوطي كان جميل
الذمة ، حسن الشارة ، أنيقا في غير اسراف ، ميبيا في غير تبذير ، لا تقع العين منه
على مايؤذى ولا تسمع الاذن منه ما يزعج ، ويستقبح لأنه (قطعة موسيقية في ظاهرة
وباطنة ، فهو مؤلف الخلق متلائم الذوق ، متناسق الفكر ، متنسق الاسلوب ،
منسجم الزى ، ولعل من اليسير ان يدرك الانسان أثر شخصية المنفلوطي الجميلة
المنسقة على اسلوبه الرشيق وطريقة ترسله المنمقة) (٢)

مناصبه :

لم يكن المنفلوطي يلي مناصبا ذا حظوة قبل ان يحصل بصديقه سعد باشا زغول
ومن اليسير ملاحظة الرجين وظيفيا ، فسعد باشا عندما عين في نظارة المعارف
بجد المنفلوطي وظيفة في تلك النظارة ، سنة ١٩١٩ م ، وعندما يتأخر سعد باشا
تلك الوزارة ويتبع الحفانية يخطر للمنفلوطي في الحفانية عام ١٩١٠ م ، ووقفا
بدع سعد باشا تلك الوظيفة يدعها المنفلوطي - ويظل هائما حتى اذا رأس سعد
لمعية التشريعية وجد المنفلوطي وظيفة بها عام ١٩١٣ م . ويظل الارتباط وثيقا
حتى اذا بزغت ثورة ١٩١٩ م وترأس سعد باشا مجلس النواب التي المنفلوطي

١ — مجلة الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

٢ — وحي الرسالة ج ٦ ص ٣٨٧ ط ٦ .

نفسه ذا منصب في سكرتارية مجلس النواب ، وظل الرجل يمارس نشاطه
ويؤدي واجبه في حيوية .

وكان لابد لتلك الحياة العريضة النشطة أن تترك أثراً على الرجل ولقد أصيب
للتغلوطن قبيل وفاته بشهرين بالقالج ، وتوقف نشاط جزء من جسده ، وحينما
أوشكت منيته أصيب بتسمم يولي (يولينا) قبل وفاته بثلاثة أيام ، وقضى
الرجل نحبه في يوم السبت ١٢ / ٧ / ١٩٢٤ م ومن العجب أن يكون ذلك هو
يوم الاعتداء على سعد باشا . ولذا لم يجد أمير الشعراء في رثائه غير قوله
اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك في هوج الرياح الناعي
ثقافته :

نجد لزماً علينا أن نعرض لثقافة الرجل الذي تصدى للحديث عنه ، لأن
الكشف عن مناحي ثقافته ومصادرها ، سوف يثير السبيل الى معرفة عوالم
التغلوطن ومناطق اجتماعه ، ومن الثمن أن نحاول معرفة أثر الرجل في أدبنا
ومن غير أن نهدف على تكوينه الثقافي ونوع المدد الذي يأتيه .

ولعل أول رافد من روافد الثقافة التي أمدت التغلوطن بمعين هو القرآن
ففيه قويم لسان . ودرية ومران للجهاز النطقى .

ولما آتس في نفسه قدرة على الفهم والتذوق شرع يقرأ ويستمع الى الأدب
الشعبي الذي كانت له السيطرة والذويوع آنذاك . ولا سيما السير والوفايع
الحرية من أمثال سيرة سيف بن ذي يزن ، وعطرة بن شداد وابي زيد
الهملاي ، والزناتي خليفة ، وقصص ألف ليلة وليلة ، وتكاد تكون تلك
القراءات هي النافذة الأولى للإبداع الفني والخيالي التي يطل منها الصبي المصري

في تلك الفترة على عالم آخر مجهول ومفقود .

يقول المغلوطنى . (كنت أنم في صباي بكثير من اللاذ الوهمية الكاذبة .
فكنت أجد في نفسى غبطة عظمت حينما أجلس لمطالعة ألف ليله وليلة أو
سيرة سيف بن ذي يزن ، أو حروب عترة ، أو وقائع أبى زيد ، أو أساطير
الجن والشياطين .) ١

ويكلف المغلوطنى بالقراءة . ويمجد سلوته في منادمة الكتاب ، وكثيراً
ما يكون الكتاب أحسن صدر يضم الانسان ، وأرق قلب ينبض به . وأهنا
حيث يأوى إليه المرء المكثود المتعب .

ويمجد المغلوطنى في الكتاب ضلته ، ويقع فيه على ما ينشده ، فترداد المحبة
ويصمق الود (لم تكن ساعة من الساعات أحب الى ، ولا أثر عندى من ساعة
أخلو فيها بنفسى ، وأمسك على بابى ، ثم أسلم نفسى الى كتابى) ١

والأدب داء عضال متى تمكن من انسان فلا يستطيع عنه فكاكاً ، يأمره فيأتمر
وينهاه فينتهى ، ويشعر عليه فلا يخالف له أمراً . يملك عليه زمام نفسه ،
ويقوده الى حيث يشاء ، والأديب في كل ذلك مدعن طبع ، لا يضجر من تبعية ،
لا يسأم من غل ، وكأنا راحته وسعاده في مزيد من تحمك ومدد من سيطرة .
ولا يداخلنا عجب اذا قرأنا أن فلانا الأديب كان يشتري بما معه من نقود

١ — النظرات ج ٣ ص ٢٥ ط ١٤ — المكتبة التجارية .

١ — النظرات ج ١ ص ٥

كتاباً يظل طاروا غلوا . ويتاع صحيفة ولا يستر جسده ، ويقتنى مجلداً ولا
يعالج ، أولئك هم الأدياء الذين أصابهم جنون الأدب . وتالم مس منه فعدوا
لا يشقون غيره ولا يحبون سواه . ومن هؤلاء مصطفى لطفى المنفلوطى الذى
يقول - وهو صادق . أحيت الأدب حبا جما ملا بين جاني (١)

وعندما التحق بالأزهر الشريف اصطدم بمناهج بالية ومقررات لا تقى فيلدا
ولا تعيد شيئا ، ومنى بأسمانة أحسن ما فيهم زيهم التقليدى ، لا يعرفون من
أمور دينهم إلا جملة معترضة . وقضايا جدلية تورث الضغائن ، وتشعل الفتنة ،
وتوقد نار العداوة والبغضاء ، وهم أعداء لكل فكر يربصون بالشعر له
والأدياء الدوائر ، ويقفون منهم موقفا مخزيا مرييا .

ولقد كلن المدرسون فى الأزهر يوقفون بكل طلب تبدو عليه غايل الفن ،
ويظهر لديه ميل الى الشعر أو النثر . وكلنا - كل من دخل الأزهر - ذاق جعيم
تلك الحملات التسكراء التى كان يشنها مشايخنا رحمهم الله على من يضبط لديه
كتاب من كتب الأدب ، أو صحيفة من صحافته (وكثيرا ما كانوا يهجمون
منى على ملا يحبون ، فلما عثروا فى خزائى أو وصادق . أو بين لفائف توبى
على ديوان شعر أو كتاب أدب ، خيل اليهم أنهم قد ظفروا بالدينار فى حقبة
سارق . فأجد من البلاه بهم والنقص . بمكانهم ملا يحتمل مثله مثلى (٣)

١ - النظرات ح ١ ص ٥

٢ - المرجع السابق ج ١

٣ - المرجع السابق

وعلى ذلك فكل من لديه قريحة أو له ذوق فطرية أن يشق طريقاً غير معبد ، ويصمدى لهوج الرياح ، وينقذ ذاته ويثقف نفسه ، فالثقافة في الأزهر لا قيمة لها أو على الأقل لا تخرج أديبا ، ولا تعين طالباً ، وذلك مرده إلى نظرهم الى الأدب ، وموقفهم منه .

« ولم يكن خولي لذلك العهد ممن يستعين بمنظهم مثلى على الأدب أحد ، لانتى كنت أعيش في مفتتح عهدي به - الأزهر - بين أشباح أزهرين من الطراز القديم . لا يرون رأيي فيه ، ولا يعلقون منه بما أعلق فكانوا يرون أن التفرغ عليه أو اللام به عمل من أعمال البطالة والعبث وفتنة من فتنة الشيطان » ١ .

وإذا كان مشايخ الأزهر أيام المغلوطين في نهاية القرن التاسع عشر يعتبرون اللام - بالأدب من أعمال البطالة والعبث فانما هم تابعون لسبقهم ، وسائرون على - سن من تقدمهم من مشايخهم ، فالشيخ الطار وهو عالم كبير من علماء الأزهر في بداية القرن التاسع عشر يقول معروفاً الأدب « الأدب فن علوم أهل البطالة » ٢ وهذه الصورة لا تختلف كثيراً عن تلك اللوحة التي رسمها أستاذنا الدكتور طه حسين رحمه الله عن الأزهر في تلك الحقبة أو بعدها بقليل (٣) ومن المؤسف أن الأزهر الذي تاصب الأدب العداء أخذ على عاتقه أن يطادى

١ - مقدمة النظرات ج ١ ط ١٤ المكتبة التجارية .

٢ - حاشية الطار على مع الهوامع ج ١ ص ٢٤٤ .

٣ - الأيام ج ١

كل محاولة جادة للإصلاح ولو كانت محاولات دينية خالصة .

وتاريخ الأزهر في تلك الفترة قين بالدراسة المنهضة الأمينة . لانه من أثر راسخ وطابع يميز في حياتها الثقافية والفكرية في تلك السنين ولا أدل على ما نزع من العقلية الأزهرية آنذاك من أنهم وقفوا في وجه الشيخ مصطفى العمروسى سنة ١٨٧٦ م وهو فقيه شافعى ، تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١ هـ وكان شغوفاً بأهدار مارآه من بدع ليست من الدين في شيء . فألغى الشجادة بالقرآن الكريم . ومنع قراءته في الطرق . وانتهى عقد امتحان للمدرسين في الأزهر ، غفاته المشايخ والطلبة . وعزل من مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧ هـ . وذلك يوقفنا على مدى ما وصل إليه مستوى التفكير الأزهرى ، وما انتهت إليه الثقافة الأزهرية

ومن هنا لا تعجب اذ قرأنا عن ذلك الحب والإعجاب الذى يكنه طلاب الأزهر والمعروفون الذين لديهم امكانيات ثقافية لاستاذم الامام الشيخ محمد عبده .

فانه قبس يضىء في سدفة العمى ، وقر منير في حلقة الليالى السود . والشيخ محمد عبده من الذين عنوا بيعت التراث ، وشارك في ذلك بحقيقته لمقامات البديع وكان يقيس كفاية الطالب بمقاس (سيويه) لا بمقياس أبى حنيفة . على حد تعبير الزيات (١) ولربما لمح الاستاذ الإمام فى المنفلوطى مخايل حقوق فهداء سواء الصراط . وأخذ يلج به أبواب المعرفة . ويوقه

— ١ — وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٩

شواخ الأعمال الأدبية التي تصقل موهبته وتبرز كوامن تفوقه ، وتعهده
بالرعاية والتعذيب فكان الامل « يقره المنفلوطي - ويرسم له الطريقة المثلى
للقاية من الأدب ، والحياة » .

وعثر المنفلوطي على ما يعني فاسلم نفسه لكتيب الأدب ، وعب في فهم ما كتبه
الملاحظ وأبو هلال السكري ، والخفاجي ، وابن عبد رب ، وابن رشيق
والحريري وعبد القاهر ، وبديع الزمان لهمزاني ، وضياء الدين بن الاثير ،
وغريم . كما استظهر بعض شعر اسلافنا ، ووقف على دواوين المتنبي .
والشريف والمرعي ، وشعراء الحماسة ، وبعض الشعراء الجاهليين . وتكونت
بذلك الزاد ثقافة عربية ذات أصالة ورحابة ، يمدحها بما يرغب خير منظوم
العرب ومتشورم فهاش وخياله يسبح معهم ، ولسانه مزج بأساليبهم .
وعاطفته تبحر في جميع ذلك التراث . والعمل على احياؤه وبسته ، وظل يرود
القول ويحاول محاكاة نماذجهم التعبيرية ، ومزاجهم الفكركي حتى صلب
عوده واستوى على سوقه ، فكانت تلك النصوص التراثية زاده الثقافي ،
ومعينه المعرفي ، وميراثه الفني .

ويعد المنفلوطي بصره فلذا هو بأنماط أدبية جديدة تفزو الفكر العربي ،
ووسائل - تعبير طريفة تقتحم على الناس حياتهم ، وفنون عصرية تحدث
وتجد ، لم يكن للعرب بها من عهد ، ويحاول الرجل أن يصنع شيئاً وأن
يضيف إلى زاده زادا وإلى قوته قوتا ، فيزعم على معارفه لغة أجنبية حتى
يتسنى له نقل تلك الأعمال الفنية قهلا عرياً خالصاً . ويحبب النثر . مغبة تلك
الترجمات التي يصنعها ذلك المترجم المولع بالعامية / محمد عثمان جلال .

ونحن لا نستطيع أن نجارى الأستاذ / الدكتور / شوقي ضيف حين يزعم
أن المنفلوطي (كانت ثقافته ضيقة) (١)

فلرجل يؤدى دوره فى الأدب العربى . ويكتب بلسان عربى مبين . ومن
الصعب الا يعرف اللغة التى يكتبها معرفة جيدة ، ومن الخطأ الا يقف
على أسرارها ومكوناتها وليس من النقص المبين الا يتقن لغة أجنبية ما دام
يعرفها معرفة تمكنه من القراءة بها ، وما ظل يقرأ أهميات الأدب - الاجنبى
ويتابعه فى مترجمات جيدة .

ولا يضيق الأديب المبدع فى شئ . إلا يتعمق فى دراسة لغة ، أو فهم فلسفة .
فكم من أدباء أدوا رسالتهم فى إبداع وسجاجة . وهم لا يعرفون غير لغتهم .
وكم من أديب عرف لغات شتى . ولم يزد ذلك إلا رطانه لسان واكتساب
مفردات لغوية دون تأثير فعال فى فنه أو خلقه الإبداعى .

ولكن المنفلوطي إيماناً منه بجدوى الاطلاع على الأنماط الأبية الاجنبية
آثر الاستعانة ببعض معارفه ممن يتقنون اللغة الأجنبية ثم يتصدى بعد ذلك
لصياغة تلك الأعمال صياغة عربية مشرقة تخلب القارىء وتجذب الخلق ،
وتخلق جمهوراً أديباً متذوقاً . ولم تقتصر ثقافة الرجل على إيمان القراءة
ومواصلة الإطلاع . ولكن ثقافته كانت — بعد هذا أرحب وأشمل فقد
أضاف الرجل إلى ما لديه من معرفة ثقافة أصدقائه وبمكنتنا القول فى ارتياح
غير مبالغ فيه ، أن ثقافة المنفلوطي فى وقت ما . كانت تلبية لرغبة الإمام ،

(١) - الادب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٠١ ط الاولى . دارالمطارف .

وتنفيذاً لسياسة ، وفي وقت ما كانت لا ذكاء روح معين أوحى بها إليه
صديقه سعد باشا . وقد كانت في حين استجابة لتصور الشيخ علي يوسف ، وكم
لأولئك الرجال من أثر في تكوين ثقافته . وترجيحها وجهة خاصة ، وتلويحها
بلون معين ، فالإمام المجتهد محمد عبده ، والسيامي الخطيب سعد باشا ، والصحفي
الكاتب علي يوسف كانوا أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب (١)

والمطلع على آثار المنفلوطي الأدبية . يشعر بمدى تنوع ثقافته ، فهو يعالج
موضوعات اجتماعية ويناقش قضايا فكرية ، ويبحث في سائل تعليمية وفنية
وخير ما يضي في تلك المسألة كتابة القيم النظرات بأجزائه .

وعلى ذلك فالمنفلوطي يمثل الثقافة العربية الأصيلة في أزهى عصور اللغة قوة
واقتراراً . وقد أمدته روافد أجنبية ذات عطاء فأينت وأتت أكلها وظهر
جلياً - ذلك التجانس الخلاق - بين حضارتين فلم يأل جهداً في متابعة أحدث
الاتماط الأدبية طرافة . محاولاً علاجها وصياغتها مستغلاً في ذلك ما تيسر له
من معرفة ، وما أتيج له من فكر .

١ - وحي الرسالة . ص ٣٨٨ ج ١

الفصل الثانى

عصره ومجتمعه —

لقد نما المنطوطى فى عصر يبع بالأفكار المتضاربة ، ويشهد صراما
عندما بين حضارتين ، حضارة طارئة وافدة قدمت مع الحملة الفرنسية على
مصر سنة ١٧٩٨ م ومع ليف من علماء فرنسا وبعض التشرييين الذين
استقدمتهم السلطة آنذاك فى مفتتح القرن التاسع عشر الميلادى ، وحضارة عتيقة
كائمة فى ضمير أمة قد انصرفت عن تاريخها ، أو قدر لها أن تنصرف ، وهذا
الاحتكاك والتنافس هو الذى خلق النهضة التى عاشها مجتمعنا فيما بعد وأنجب
ذلك الازدهار الذى أينع وأثمر .

ومن المعروف أن المنطوطى نشأ فى عهد اسماعيل باشا خديوى مصر . ولقد
يكون لاسماعيل باشا أخطاء سياسية . ولكنه دفع بالتعليم والثقافة إلى الأمام
ومنحها مزيداً من رعاية . وأعاد إلى الحياة المصرية الثقافية وجهها المشرق
بعد أن منى الشعب بحاكين من قبله تمردوا على الثقافة وطمشوا بكثير
من المنشئات التى أقيمت .

فلقد أغلق عباس الأول . المدارس . ولم يبق - حتى على مدرسة الألسن
ولم يكتف بذلك بل أنه تمادى فألقى البعثات المصرية . واستدعى أفرادها
من الخارج . وبلغ به ثقته إلى تمي رفاة الطهاوى فى السودان حتى إذا جاء
سعيد باشا الذى أيضاً - ديوان المدارس . وأوقف حركة الترجمة والنشر ،
وأغلق مطبعة بولاق . ولكن اسماعيل - نتيجة لتربيته ونشأته وميوله أحيأ

المنشآت الثقافية ، وأمد البعثات إلى أوروبا ، وفتح المدارس التي أغلقها سلفاءه وفي عهده تم افتتاح أول مدرسة للبنات ، وأنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ م — ودار العلوم — كلية دار العلوم سنة ١٨٧١ م وكان وراء إنجاز هذين المجهودين على باشا مبارك أبو التعليم المصري الحديث، وفي تلك الفترة المليئة بالأحداث الثقافية بدأ يلعب في الأفق تكوين الجمعيات الأدبية والمنظمات الفكرية وعلى مدى من ذلك تأسست جمعية الاتحاد الشيبية المصرية ١٨٧٩ م (١)

وكان لازماً على أولى الأمر أن يتصدوا لهذا ذلك الخطر الدائم الذي يهدد الأمة وتمخضت الآراء والأفكار عن حركة إحياء ، وتفتح الروح في ذلك العملاق الراض في خزائن الكتب وأضرحة الأولياء . وحتى لا ينهر النشء بالموميض الأخاذ الذي يذبت من الثقافة الغريبة — الوامدة فلا بد من اذاعة كتب التراث وبشها وبذل الجهد في بشها وذبوعها بين الشيبية حتى يحدث التوازن ، وتقل حدة التبعية ، وإيماناً بالدور العظيم الذي قلمت به الحضارة الإسلامية واعتزازاً بالخدمات الجليلة التي منحتها العرب للعالم في عصور تنوهم ارتفعت الأصوات مطالبة بالافراج عن ذلك التراث ، وتكونت نتيجة لذلك (جمعية المعارف) ١٨٦٨ م وأخذت على عاتقها نشر روائع التراث وبشها ومن أهم الكتب التي أنجزتها (أسدالتابة) ، وشرح التنوير على —سقطا الزند ، والبيان والبيان وتاج العروس ، وتاريخ ابن الوردي.

واطردت النهضة الثقافية لتشمل الصحف والمجلات ، وساعدت على خلق وعي ثقافي ونشاط فكري رحب ، ومن الصحف التي رأت النور في تلك

الفترة (اليصوب) ، وروضة المدارس « ثقافة نصف شهرية . » وواى النيل « لبدالله مسعود » ونزهة الأفكار « لآبراهيم المولىحى وعبدعلمان جلال ، والوطن لميخائيل عبد السيد » وأبو نضارة « ليعقوب صنوع . . كما أصدر الشاميون فى مصر صحفاً منها (الكوكب الشرقى) سليم الحموى ، والاهرام سليم بشارة قحلا ، «ومصر» ، «والتجارة» لأديب اسحاق وسليم قحاش (١) وهكذا كانت تلك الفترة التى قضىها المنفلوطى صبياً . فترة بقطة وانتباه .

تتبع بالأحداث الثقافية ، وتبع بالنشاط الناثر ، وتمتاز - فيما تمتاز به - بأخراج التراث . وتشجيع المواهب الجديدة . والترحيب بكل ابداع يقدم ، والسماع للرأى المخالف بالنشر والاذاعة كل ذلك حفز الشباب وأيقظ الهمم . وخلق بين ذاك الجيل روح التنافس الخلاق وحضهم على الابداع والابتكار والتفكير الحر الجريء ، ولقد عب المنفلوطى من ذلك المنهل ورأى فيه أحلامه ومناه ، فعكف على قراءة تلك الأعمال العظيمة فى استيعاب وتمثل ، وصادفت هذه الكتب والدواوين هوى فى نفسه . وأمدته بفيض عظيم أكثر مما وهبت الثقافة الأزهرية من معرفة وما منحته إياه من عطاء .

وفى تلك الفترة - أيضاً منيت مصر بالاحتلال البريطانى . وقد لحركة عرابى الانهيار وجوكم من اشترك معه ومن له أدنى صلة بمقاومة الاحتلال وعاشت البلاد فترة رهيبية كثيفة مشحونة بالتوقيع والترصص . ولم يكن الأدب فى تلك الفترة بعيداً عن السباحة - وإنما ظل - كما كان - مقياساً صادقاً لنبض الحياة ، فإسماعيل صدقى بشار غم ما له حسنات - اثابت مصر فى أيامه -

(١) تاريخ آداب اللغة العربية - جورجى زيدان ج ٤ ص ٥٧

نكبات ومهوم فاستحق السخرية والاستهجان وقال من الشعراء ما يفوجب
من هجوم يقول صالح مجدى . تليذ رطامه الطمطاري . يحرض المصريين
على اسماعيل .

رى بلادكم فى قعر هياوية من الديون على مرغوب (جوسيار)
وأثق المال لا بخلا، ولا كرمًا على بقي — وقواد، وأشرار .
والمرء يفتح فى الدنيا بوابة من النساء، ولم يفتح بليار .
ويكتفى ببناء واحد . وله تسعون قصرًا بأخشاب وأحجار (١) .
واذ يشن صالح مجدى تلك الحملة على اسماعيل يضحك صفوت الساعاتى
من أشياخ أزهرين ناقدا لإمام، راسماً صورة قبيحة ذرية، تثير من
الاستمزاز والعجب ما تثير .

إذا ارتفعت بالنحو أعلام علمنا جلتا جواب الشرط حذف العا م
ليعلم من بالنصب يرفع نفسه بأن حروف المنقوض غير الموازم .
ويلعلم من أعيان تصريف اسمه بأننا صر فناء . كصريف المرام
نصبنا على حال من العلم والعللا وكنا على التميز أهل المكلام .
لأننا رأينا كل نور معمم يكلف قرنيه بطلع التعمام
يجر من الأدلال فضل كسائه كأن الكسائي عنده غير عالم
إذا نظر الكراس ، حرك رأسه وصباح أزيد قام . أو غير قائم
وجعل للتكسير اسم إشارة كقوله قام الشيخ فوق السلام (١)

١ — ديوان صالح مجدى ص ١٨٠ .

(٢) ديوان الساعاتى ص ١٧٢

وكان الشعب المصري في القرى والنجوع يعيش حياة ملؤها الأرهاق والاندال ظلمابون في كل مكان . والبنوك تستولي على المحاصيل ، والجانات والجمارات تفرو القرى . وتقتضي على البقية الباقية من شهامة ورجولة . ومن هنا فقد كان عصر المنفلوطي عصراً مليئاً بالأحداث مفعماً بالتيارات فيه العديد من الأعمال الإيجابية ، والكثير من السليات والمعوقات ، فهو عصر حيرة وقلق واحتدام ، فلاجتياح الأوربي جاد في عزمه ، والثقافة الغربية تجذب في أسر شديد النشء . وتستولي على مشاعرهم ، والديون المصرية تزداد وتضاقم ، والفلاحون في القرى يعانون ويكدحون بلا جدوى . والمتقنون لا يدرون إلى أين يتجهون بفكرهم . وكيف يواجهون هذه الأحداث الجسام وهذا العصر وما نجم عنه ، هو الذي سيؤثر على أدبنا الحديث واتجاهه وأغراضه ، وهو قمين بدراسة مفردة مستفيضة .

الادب في بداية هذا العصر

لقد دمرت اللغة الأدبية بفترات تذبذب فيها مستواها ما بين قوة وفسولة ويمكن اعتبار مستوى اللغة الأدبية مقياساً لحضارة ومكانة المجتمع الذي صدرت عنه تلك اللغة .

وكم كانت لغتنا العربية قبل النهضة الحالية ما عانت من ضعف وامتهان وتكلف واستكراه وغدت اللغة الشاعرة لغة حواة وحيل ، جل ما فيها محسنات وأصبغ وصليل حروف وعجيج ألفاظ وتاريخ اللغة في العصر المملوكي والعثماني يفتقر إلى جهود متضافرة مخلصمة تآزر للكشف عن خباياه وأثراره واستمرت تلك الفسولة رديحاً من الزمن - ومازلنا نعانى بعض آثارها حتى

الآن ولعل خير من - يعرب لنا عن مستوى اللغة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي هو الشيخ حسن العطار لأنه (رب الذكاء الرائع ، وحامل العلوم التي سد بها الترائع والمطيل بلسانه في حفظ علوم الشرائع والمستولى على المعرفة والتفقه والفرائض ويذلل جناح الأصول إذا لم يذلها راض ، وأستاذ الحساب وخائض بحر المنطق الذي اكتسب به الادراك أى اكتسابه (١)

كما يقول العلامة العربي بن عبد العناني كاتب سلطان المغرب ، وكان له مع العطار رسائل متبادلة وإذا كان العطار على هذا النعت فلا ريب أنه أمة وحده - في التحجير والتعمير . ولقد صنف الرجل كتاباً في الانشاء ، وقسمه ، إلى أقسام عدة - النوع الأول في مخاطبات الملوك والأمراء للدولة النمائية . والنوع الثاني في مخاطبات القضاة والعلماء والمشايع .

والنوع الثالث - في رسائل الاخوان . ثم ضمنه فصلا من كتاب وصف دمشق وفصلا في منزهات القسطنطينية . ثم خاتمة تشتمل على أبيات تورد في أوائل الصدور . يستشهد بها أثناء السطور . ثم لطائف نقر وظرائف صمر تحاضر بها الكتاب ، ثم أفرد قسماً للشروط والصكوك وبه أنهى الكتاب . ولأن الكتاب مهم وله قيمة عالية فقد أهداه انشيخ العطار الى « سيد » الوزراء . مقصد الأمراء ، ملجأ النقاء ، غياث الورى . (الحاج محمد علي باشا) ... ولسوف نعرض نموذجين ، يوضحان الصورة التي كانت عليها الكتابة الفنية ، ويربان عن المستوى الفكرى الذى يحتويه .

الانموذج الأول: —

من المصنفات التي نالت قدراً غير قليل من الثناء والشهرة ، ألفتها بي مالكة وهي منظومة في النحو العربي صاغها ابن مالك عالم القراءات في ألف بيت وتضمن جل القواعد النحوية العربية في صيغة مركزة ، وربما اقتضاب وجز . وقد سبقها في الظهور ألفتها ابن معلى . ولكن قدر لعمل ابن مالك من الذبوع والانتشار ما لم يكتب لسواه . فكلف الناشئة من المتعلمين بها ، وعكف العلماء عليها شرحاً وترديداً . ولما لها من فوائد لدى دارس النحو . ظم حضرة خيرى باشا ترجمها إلى التركية . فقرظه الشيخ العطار قائلا: —

وأهذه حديقة زهر ؟ أم قلادة نحو ؟ أم سماء فضل أزهرت بها نجوم
التحقيق ، وأشرق — شمس التدقيق ، استنار بها (لك الخلود) معهم
السالك في أحسن المسالك . إلى ألفتها ابن مالك . فبرزت بها تلك الخريدة
العربية في ملابس الروم . وجلت تلك العروس على منصتها لكل خاطب لها
بروم أبدع ناظمها وأحسن ، وأحكم وأقن وكيف لا . وهو دوحه
فضل — أبتع بالزهر ، وتقلدت أغصانها من سحب العرفان بقلائد الدرر
رب فصاحة وبراعة . وقرينة لعظم القريض سلسلة مطواعة)

الانموذج الثانى: —

أما الأنموذج الثانى فهو رسالة إلى (عالم صاحب طريقة) وفيه وأن
أبهى ما زينت به وجنات الطروس وثملت بأرشاف حيا لطفة تقاسم النفوس
بعد حمد الله على سوانح أنعامه ، والصلاة على أشرف خلقته الذى مهد

من نشر — طي ، الصحيفة عن صادق المودة معها ، فهدي لحضرة الأستاذ الكامل والعالم العامل ، أوجد الفضلاء ، أكل النبلاء ، مرشد السالكين إلى أقوم طريق ، ومربي المريدن بدقائق أسرار التوفيق ، الجامع بين علم اللبائن والظاهر السائر لتدرجه للعلوم آثار ما أحمى من دروس الرسوم — صدر الصدور قطب المعارف الذى عليه الفضائل تدور . سلالة المسجد الذى أشرفت شمسه ، وأبنت ولا زالت فضائله على مدى الأيام تتجدد . ومعاليه الى ذرى الشرف بحسن المقاصد تصعد ، وأفعاله الى المكارم تستند ، ومزايده بالحمد تقصد (١) .

وفى هذا بلاغ لمن يريد الوقوف على الكتابة الفنية جيداً . فهو أسلوب قد خلا من الفكرة وهام بالأصباغ والحلى ، وتجرد من الأثر النفسى الذى يتركه الأسلوب الجيد بعد قراءته . ولقد أتيت بهذا النمط ليتضح أثر الكتاب العظام الذين غيروا فى أنماطنا التعبيرية — وطريقتنا الكتابية . وعلى رأس أولئك رفاعة رافع الطهطاوى . وعلى باشا مبارك والإمام محمد عبده والتديم ولقيف من من أرباب القلم سوام . ولقد كان للشيخ محمد عبده على الوجه الخصوص من الأثر الواضح ما له ، ولا سيما بعد أن تولى تحرير الوقائع . وتغير أسلوب الشيخ نفسه وأنشأ بذلك اتجاهها جديداً فى الترسل ، سوف تؤتى أكلها بعد حين .

وإذا كان النثر فى هذه الفترة على ما وصفنا ، فلم يكن الشعر بأحسن حالاً منه — إذ غلبت للمعالجة السطحية ، والولع بالمحسنات ، والدوران حول أغراض مستهلكة مهترنة ، وكثر التأريخ بالشعر والافراط فى اللداع النبوية .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

ومن البين أن المصريين يفرحون بوفاء النيل وقيمون له عيداً ، ولكن الشاعر آنذاك كان وكده الاتيان بتاريخ ذلك الفيضان في الشعر وأجهد نفسه : وأجهدنا معه كما يقول الدكتور احمد هيكل :

يقول عن الفيضان :

النيل في مصر أوفى في توت حادى وعائسر (١)
والناس قد أرخوه لله خير المحواطر

وكان ذلك عام ١١١٧ م . ولو حسبنا أرقام الشطر الأخير من البيت الثانى لكان مجموعه ١١١٧٠ .

وكذلك تردى الشعر في أغراض لا تليق بمكاته فهو يهتم بالأحاجي والمعميات والألفاظ ، والتهنئة بالزهد من الأشياء .

يقول شاعر مهتأ ببولود :

هنت بالطفل الذى أشرقت بوجهه ليلة ميلاده (٢)
فأفقه يقيقك له سالماً حتى ترى أولاد أولاده

وينظم الشيخ على أبو النصر الأحاجى . فيقول عن حرف (ال) :
إذا كنت الأدب سيد من درى وفى محكم الألفاظ أحسن من يدى (٣)

(١) عجائب الآثار للجبرتي ج ١ ص ٣٠ وتطور الأدب الحديث في مصر
هيكل ط الأولى دار المعارف ١٩٦٨ م .

(٢) انشاء الطاهر ص ٨١ .

(٣) ديوان الشيخ على أبو النصر ص ٩٠ .

لما كلمة فيها كلام . وإنها
 هي الحرف من حرفين واسم بمدة
 كذا الفعل منها لا ينيب عن الفكر
 وفي قلبها في الأصل بعض فوائد
 ونابها بدأ لها عند ذي النهى
 وجمعتها تأنيك في النظم والنثر
 ولقد كان الشعر في تلك الفترة متنوع المآثر والمراعى، فختلف الأغراض
 والنزعات وفرد ذلك الى اليئات الثابتة التي عاش فيها الشعراء ، ولن يتيسر
 لنا أن نقيم الأطوار التي عبر عنها الشعر المصري الحديث بغير فهم هذه اليئات
 ولن يتيسر لنا أن نتاج الأطوار الى يومنا الحاضر ، ولا أن نترك معنى
 الانقلاب الذي طرأ على الأذنان والأذواق في أواخر القرن التاسع عشر ثم في
 أوائل القرن العشرين بغير استقصاء معنى الأدب والشعر كما كان ملحوظا في
 جميع تلك اليئات .

(١) شعراء مصر ويهتم في الجيل الماضي - مكتبة النهضة الأولى ص ٤
 للاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد .

أعمال المنفلوطى الأدبية :

للمنفلوطى أعمال أدبية كثيرة . اختلف فيها الرأى ، وتباير حولها القول
وهى بعد ذلك أعمال تم عن اعداد ممتاز ، وتعرب عن موهبة أصيلة ، وتشهد
للرجل بالعظمة والابداع .

ولقد بدأت أعمال المنفلوطى تبدى للناس من خلال ما كان ينشره في
بعض المجلات الاقليمية ، والتي غدت بيئة في مصر مثلاً مجلة الفلاح ، والهلال ،
والجامعة ، والعمدة وغيرها . (١)

وكان لوفرة المجلات والصحف من الأثر في نهضة الأدب ما لا يمكن
جسده ، ويكفى أنها ساعدت على الارتقاء بالأسلوب ونعجه ، وتمحيص
الفكرة ، والوصول بالكلمة الى ما يطمح اليه ذرو الأقلام .

ولنا أن نتصور مدى النهضة اذا عرفنا أنه في الفترة ما بين سنى ١٨٩٢ :
١٩٠٠ م . بلغ عدد الصحف في العالم العربى ١٥٠ صحيفة منها ٨٩ صحيفة في
مصر وحدها ، حتى أن الكاتب أصبح لا يسأل عما يكتب ولا حرج على الناس
في اصدار الصحف . (٢)

وأدت حرية الصحافة وما واكبها من ظواهر اجتماعية وسياسية الى زرع
من الصحافة المتحررة التى تشهر بالأعراض وتفتك الحرمات وتنشئ بين الناس

(١) طاهر الطناحي . الهلال . ديسمبر سنة ١٩٥٤ م .

(٢) أنور الجندي تطور الصحافة ص ٥٦ .

الردائل والموبقات ومن تلك المصنف حمارة منيق لأحمد توفيق والسيف لأحمد عباس .

وأسف هذه المصنف في كتابها وترخصت وتردت في هاوية سخيقة من البذاء الأمر الذي دفع (أمين الشمسي) للتقدم بقرار إلى مجلس شورى النواب بحث فيه الحكومة على أن تحي الناس شر هذه القوضى أو أنها تقرر معاقبة من يخرج عن حده .

ويبدو أن الأمر كان متفشيا وذا خطورة ولا لا وجدنا الامام الشيخ « محمد عبده » يقول: أن القدح في الأعراض ، ونشر ما يخل بالآداب سواء كان بصفة رسائل مستقلة . أو نشر مقالات بالجرائد قد كثر في هذه السنين بسبب اطلاق حرية المطبوعات وبما أن ذلك ممنوع شرعاً وسياسة . فطلقت نظر الحكومة إلى ذلك . (١)

وما أن ظهرت أعمال المنفلوطي ، حتى لفت الأنظار اليه ولا سيما الأستاذ الامام الذي كان عنده أمل لا يزعه شيء في إصلاح أمته ، وكان عنده اعتقاد متين بأن البذرة الطيبة . متى ألقيت في أرض بلادنا المحسنة نبتت وأزهرت وأثمرت (٢)

كما يقول قلم أمين في رثاء محمد عبده :

وأثرت مواهب المنفلوطي الأدبية في الامام وصادت هوى في نفسه

(١) المرجع السابق ص ٥٧ .

(٢) د . محمد حسين هيكل . شخصيات مصرية وعربية ص ٤٥ .

ووجد فيها الشيخ ضالته فاهبط الامام هذه الفرصة . واغنى هذا الشاب
من بين لدائه وآرايه من طلبة الأزهر الذين كانوا لانصيب لهم في صناعة
الكتابة والانشاء (١)

وانتقل المنطوطى من الكتابة فى صحف اقليمية إلى الكتابة - نتيجة
لتشجيع الشيخ - فى أكبر الصحف حينئذ . فبدأ ينشر ويزدهر فى المؤبد .
ويكتب تحت عنوان « النظرات » .

وظل يتابع حتى أجمع له كتابه للمعنون بذلك الاسم .
ومن أعمال المنطوطى :

- ١ - النظرات : ٣ أجزاء ٢ - العبرات . ٣ - فى سبيل التاج
- ٤ - الشاعر ٥ - مجدولين ٦ - مختارات المنطوطى
- ٧ - القضية .

ونستطيع أن قسم أعمال الرجل الثرية الى قسمين .
١ - القسم الأول :

مأخوذ عن الأدب الغربى . مثل القضية (بول وفرجينى) .
ليوتاردى دى سان مير . (والشاعر) سيرا نودى برجرارك . لادمون
روستان . و (فى سبيل التاج) لفرنسوا كوييه . (ومجدولين) تحت
ظلال الزيزفون .

« ١ » رشيد رضا . تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٢٩

للقوس كار . هذا الى جانب بعض الاعمال القصصية المهمة في النظرات
والعبرات . وعلى سبيل المثال . (الذكري) التي أصلها آخر ملوك بني
سراج . لثانوبريان . وكذلك (الشهداء) التي أصلها (أتالا) له أيضاً .
(والضحية) عن غادة الكاميليا . لاكسندر دوماس الابن .

٢ - أما القسم الثاني لفردة إلى ذاته . ومرجه إلى تفكيره وقراءاته .
وما يمثل من حضارة وذوق . وذلك القسم يضم أكثر ما في النظرات ، وما وقع
عليه اختياره في مختاراته . هذا إلى جانب بعض المقالات المنشورة في عديد
من الصحف والمجلات . والمنطوطى على ذلك - ليس مؤرخاً للأدب . ولم
يؤلف كتاباً ذا صبغة تعليمية أو تنقيفية . وإنما مدار أده على ما يسمى
بالأدب الانفعالي () ولربما اندرج تحت ما يسمى بالأدب التوقفي
() وإنتاجه يدخل - لأرب - في إطار نظرية الأدب .

ولسوف نحاول مناقشة بعض أعمال المنطوطى الأدبية حتى تتبين مالها
وما عليها . ويتضح بذلك معالم شخصيته وقيمه وأثره في أدبنا الحديث
فكراً . وأسلوباً .

ولكى يقدر الرجل حق قدره ، لابد من التبرج على الأدب في تلك الفترة
فهو خير دليل يرشدنا وهاديهم لنا المسالك .

وإن المتبحر لحظى النثر الأدبي آنذاك ليجده سائراً في طرق كثيرة
متخذاً غير وجهة . سالكا غير سبيل . فبينما همراً أنماطاً من الأدب الانشائي
تعيد إلى الاسماع نهج بدع الزمان الممزاني ، والحريري وأبن الأمير .

والقاضي الفاضل نطالع طرائق أخرى من التعابير ما بين أفرنجية قد تنكرت
للفتها العربية وصدفت عنها . إلى رطانة غير هينة . وصيغ غير فصيحة ، إلى
أسلوب قد أثر التخلل من القيود والبعد عن التكلف اليباني ، ورونا إلى الابانة
في غير ما تعمل ولا تفن .

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيت (والنثر النقي كان على عهد لونا حائلا
من أدب القاضي الفاضل أو أقرأ ما تلا لثمن أين خلدن . يمثل الأول قوياً
في طبعة المزيعلجي ، وحنفي ناصف ويظهر الثاني ضعيفا في طبعة طهم أمين
ولطفي السيد . (١) .

ونستطيع أن نقول في الطمئنان قريب من الحق . أن الأساليب التي سادت
وقهتد يمكن تقسيمها إلى الانماط التالية .

١ - نمط يكتب به علماء الأزهر . وطلابه ومن لف لفهم من الذين
يعكفون على أساليب الجدل ، وخلق الجمل للاعتراضية التي قصد انفي أكثر
بما تضيف اليه . ومن تلك النماذج الحرامى والتطبيقات وما كتبه الشيخ حمزة
فتح الله . والشيخ السمنى والشيخ جسونه النواوى والشيخ بنحيت .

٢ - نمط يستمر باللغة العربية ولا ينجعل من جريان الخطأ على قلبه ولسانه
بل أن بعض من كتب بهذا الأسلوب قد دعا إلى نبذ اللغة التي عفا عليها
الزمن . ولم تعد في مكنتها مسايرة التطور الاجتماعى . ولا متابعة الأبحاث

(١) . وحى الرسالة ج ١ من ٣٨٩ ط ٦ : ١٩٥٧ م .

والدراسات وكانت عبارة (لى لفتى ولكم لفتكم) من شعارات أولئك القوم .

ونما هذا الاتجاه حتى قرر بعض الذين فى قلوبهم مرض أن الخطأ النحوى أو اللغوى لا يزل يمرّبة الأديب ولا يحط من قدره . وقد سجل ذلك الأستاذ ميخائيل نعيمة صاحب الغزال وكان جل المدافعين عن هذا النمط ، والحريصين عليه . قلة من أدباء الشام الذين لم يتقنوا العربية ولم يرتبطوا بها دينياً .

٣ - نمط عربى المسان والاهجة . أراد أن يعود الى الحياة شواخ الأعمال الأدبية التى راجت فى عصر ازدهار لغة العرب كتنن المقامات . وظهر من ذلك النمط العربى (حديث عيسى بن هشام) للمولوى وقريب منه (ليالى سطيح) لمحمد حافظ ابراهيم . شاعر النيل .

٤ - نمط تعبيرى مثقل بالصنعة مكبل بالأغلال كثرت فيه الحلى وتمكن منه التكلف والمغالاة ومن أشهر نماذجه اللون (صهاريج اللؤلؤ) لمحمد توفيق البكرى . وأسواق الذهب لامحمد شوقى أمير الشعراء .

٥ - وهناك نمط توسط تلك الانماط ، فقد اجتمع عن التكلف والخلو ، وتجنب فسولة التعبير لدى المتعلمين من العربية ، وحافظ على الاجرومية والنحو العربى ، وجود فى الصياغة والتركيب وعالج موضوعات عصرية ، وناقش قضايا فكرية . ومن أشهر كتاب هذا النمط الأستاذ الامام محمد عبده ولاسيما بعد أن تحرر أسلوبه ، وترك طريقة الترسيل والديدج ، وأجسد

طرس الشديقي . وعهد الله للتدبير . ومن قبلهم رفاة الطهطاوى ، وعلى
باشا مبارك .

ويمكن اعتبار المنفلوطى امتدادا لهذا النمط ، فهو ثمرة من غرس الأستاذ
الامام . وقد يكون في طريقة المنفلوطى أكثر من جانب ملحوظ ومدرک .
ومن اليسر على الباحث أن يربط بين هذه الجوانب وبين دلالتها . وقد لاحظ
الأستاذ العقاد جانباً من تلك الجوانب حيناً زعم أن أسلوب المنفلوطى إنما هو
« تعصب للعريّة . . » وقد كان هذا رد فسل لتلك العمیة الجديدة للفتات
الأجنبية « ١٥ » واتى أكاد أجزم بأن الشيخ محمد عبده هو الذى رسم للمنفلوطى
طريقه وشجعه على سلوك ذلك السبيل . وما ذلك على الشيخ بعيد . فقد
كان له ميل إلى تشجيع الحركة الأدبية وهو الذى شجع بطرس البستاني على
إخراج دائرة ، وكان وراء انتشار مجلة المقطف وساعد « شبلى شميل »
صاحب مجلة الشفاء ، وأعان على السفر للدراسة الأساليب الحديثة لمرض
السل ، واختاراً لتحرير الوقائع معه : سعد زغلول والشيخ عبد الكريم
سليمان وإبراهيم الملباوى والشيخ محمد خليل والسيد وقاه وهو الذى أخذ
يد العالم المحقق الفذ الشنيطى ولولاه لما بقى فى مصر ، وهو الذى عهد الى
الأستاذ سيد بن على المرفعى بتدريس كتب الأدب فى الأزهر من أمثال
الكامل للمبرد وديوان الحماسة لأبى تمام « ٢٥ »

« ١٥ » رجال عرفهم العقاد ص ٦٤ .

« ٢٥ » زعماء الإصلاح . أحمد أمين ص ٣٠١ ومحمد عبده العقاد . العدد

الأول من سلسلة أعلام العرب .

فلا غرو أن يكون أسلوب المنفلوطى وطريقته إنما كان عن اختيار الشيخ وهده ، يقول الزيت عن علاقة الامام بالمنفلوطى ومدى اهتمامه به ذاكرا أنه كان « يرسم له الطريقة المثلى للغاية من الأديب . » (١)

ولسوف يتضح عند دراستنا الموضوعية لأديب المنفلوطى أن المتواد التى عالجه لم تكن سوى تعبير أدبى عن أفكار الأستاذ الامام . ومن هنا كانت الطامة الكبرى على المنفلوطى حينما بلغه نبأ وفاة الشيخ . فارتد منكسرا أسيفا الى منفوط تاركا القاهرة ومن فيها وليس ذلك بالأمر اليسير نفسه . ولا السهل قبله لولا الصلة الحميمة ، والاتجاه الواحد والعلاقة التى تتفوق على ما سواها من علاقات يقول الزيت : « لما قبض الله الامام الى رخته جنع المنفلوطى فيه على سنده وآمله ، وارتد مقطوع الرجاء الى بلده . » (٢)

طريقة المنفلوطى :

من بين تلك الأنماط الخبائية ظهرت مقالات المنفلوطى على صفحات المؤيد . فكان لها من الأسر والتأثير ما كان . وجذبت الناس واستحوذت عليهم بفضل ما للرجل من ذلاقة وبيان ، وفصاحة ولسن من غير ما تبذير ولا سرف ، فاللغة عربية فصيحة غير موشاة بالحلى والمحسنات إلا ما يأتى عفوا غير متعمد . والجل موحية قصيرة ، تتماز بالسلاسة . وتتشع بالبرقة ، وتتم بالصحة والخلو عن كل ما يشين التعبير وما يعم الاسلوب .

(١) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٩ .

وترجع عظمة أسلوب المنفلوطى الى تلك الانقضاضة والجمدة ، والتفوق على الأساليب المضادة التي يلوها الكتاب ، ويحفظها الدخلاء ، ومرد ذلك الى أن الأساليب آنذاك كانت « سقيمة التراكيب ، مشوشة القوالب » (١) فإذا ما أشرقت دياجعة المنفلوطى ، وسطعت مقالاته نالت من التقدير فوق الكثير واستحقت ما يستأهله كل جديد حسن الوقع ، رائع المآخذ حتى أن الأستاذ المرحوم الزيت وهو من هو فى الأسلوب والدياجعة يقول : « أشرق أسلوب المنفلوطى على وجه المؤيد » أشرق البشاشة وسطع فى أندية الادب سطوع العبير ورن فى أسماع الأبناء ونين القلم ، ورأى القراء الأبناء فى هذا الفن الجديد ما لم يروا فى فقرات الجاحظ ، وسجات البديع وما لا يرون فى غفائة الصحافة وركاكة الترجمة (٢)

ولقد كثر الجدل حول طريقة المنفلوطى فى الكتابة ، وأحدم الجب وأشد ، وليس المنفلوطى بدما فى ذلك فكل طريف يثير من المناقشات حوله ما يثير ، ويقيم من الخصومات والجدل ما يشتد حيناً ويضعف أحياناً . ويجب علينا ونحن نقرأ ما يقال حول طريقة الرجل أن نفرق بين كلام مصدرة الحقد والموجدة ومثمرة الحساسة والتنافس ، وكلام تابع عن معرفة وتمرس بالكتابة وخلق ومعاونة ، وبالأخص بين رأى يطلق للتعمية والتمويه ورأى ذى وجهة وقبول .

١ - المرجع السابق ص ٢٨٥

٢ - المرجع السابق ص ٢٨٦

وقد أدى بنا ذلك إلى الوقوع في التناقض والتردى إلى هاوية الصغى .
وقديما سأل عبيد بن طاهر أبا عبادة البحرى فقال (يا أبا عبادة مسلم أشعر
أم أبو نواس ؟ فقال البحرى أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ويتنوع
في كل مذهب ، أن شاء جدد وأن شاء هزل ومسلم يلزم طريقاً واحداً
لا يتعداه ، ويحقق بمذهب لا يخطئه فقال له عبيد الله أن أحمد بن يحيى
لا يوافقك على هذا . فقال أيها الأمير : ليس هذا من علم قطب واضرا به من
يحفظ الشعر ولا يقوله إنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقة . (١)
وهذا الحكم موافق لحكم أبي نواس في جرير القرزدق مخالفنا أبا عبيدة .

والنمط الذي سار عليه المنفلوطى نمط عربى في كل شيء . وهو إذا كان
امتيازه في الأسلوب فلا ريب أن الأسلوب أصل من الأصول الأربعة
للفن الأدبى . (٢)

ولقد خلب المنفلوطى الناس ببيانته وسحرهم بيلافته وخاض في موضوعات
شتى وعالج المعانى الجليلة بطريقته اليبانيسية الأخاذة . فأنرى وأثر ، وأعجب
وأطرب ، وبلغ ما يريد من شأن وصحوق . وما ذلك عليه جزير لأنه (إذا كان
المعنى شريفاً واللفظ بيتاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومتمزها
عن الاحتلال صوتاً عن التكلف صنع فى القلب صنع الفيت فى التربة الكريمة .

(١) الكشف عن مساوي المتنبي لابن عباد طبعة القدس ص ٥

(٢) الأستاذ عبد الحميد حسن . الأصول النفسية للأدب سنة ١٩٤٩

وهناك جوانب عديدة ساعدت المنفلوطى على طريقته وحضته عليها ومن تلك الجوانب :

أولا : الجانب التكويني والخلقى للأديب .

غدا من المقرر أن حالة الأديب الجسدية والنفسية لها من الأثر على إنتاجه ما لها . وأصبحت طرائق معيشته ونظام حياته يتدخلان فى خلق العمل الأدبى ويسماه بميسمها أن جودة وأن قبحا .

ولما كان المنفلوطى . « قطعة موسيقية فى ظاهره وباطنه » فهو مؤلف الخلق ، متلائم الذوق متناسب الفكر ، منسق الأسلوب ، منسجم الزى ، لا تلمح فى قوله ولا فى فعله شذوذ البقرية ، ولا نشوز القدماء . « ١ »

فلا عجب أن يأتى أسلوبه جيلا أخذا ، ذا طلاوة ورشاقة .

وقد لحن هذا الملمح القاضى على بن عبد العزيز الجرجاني فأرجع التوعر والسهولة الى الطمع والتكوين يقول : فمرو شعر أحدم ، ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدم ويتوعر منطق غيره ، وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلق ، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودمامة الكلام بسلامة الخلقة . « ٢ »

(١) وحى الرسالة . الزينات ج ١ ص ٣٨٦

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه . للجرجاني . تحقيق أبى الفضل والبيضاوى ص ١٢ سنة ١٩٤٥ م .

ومنى خالف الأديب طبعه ، وفرض على نفسه أشياء لا تتواءم معها جاء عمله جاسيا نايا . لا يلج القلب ، ولا يهز الوجدان ، ولا يقيم في ميدان الأدب الا ريثما يمجى .

وأدب المنفلوطى على هذا . تصير تلقائى عن نفسه ، فقيه منه الرشاقة والسمت ، والاناقة والوسامة والتآلف ، والبعد عن النبو والتكلف .

والمنفلوطى أدرك أن الأدب لا بد أن يكون تعبير أغنى ذاته بلا تصف ولا قسر ، لأن الأديب كما يقولون « قد يعاب أشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر عمله ، وبالإبداع جميع فنونه ، لأن مجاهدة الطبع ومغالبة القرينة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكلف وشدة التعامل ، ولكل شئ حد ، اذا تجاوزه المتجاوز سعى مفرطاً . وما وقع الافراط فى شئ الا شأته ، واعاد الى الفساد صحة ، والى القبح حسنة وبهاء » (١٥)

واذا كان لتكوين الأديب الجسمانى أثر فى عمله وفنه ، فلا مبرية أن يأتى اسلوب المنفلوطى على ما هو عليه من الروعة والقوة وما ذلك الا لأن الرجل كان كما وصفه الزيلت . « رجل يجتمع الآشد مروع الخلق ، ممتلئ البدن ، فليظ الشارب حسن السمت » (١٦)

فلا غرابة - على ذلك - أن يخلو اسلوبه من التكلف والقبح وكل ما يشين

(١) الموازنة بين الطائفتين للامدى ص ١٦ .

(٢) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٧ ط ٦ ١٩٥٧٧ م مكتبة النهضة .

ويصم ، ويشرق خلوبا يستميل ؛ وجذابا يأسر لا أثر لديه في بهرجة ، ولا مكان لعب في التركيب والصياغة .
ثانياً - الجانب الثقافي :

قرأ المتقوطين من تراث العربية ما من شأنه أن يذكر فيه روح الصياغة وينمي لديه ذلك الاتجاه الجمالي في الأسلوب والعناية به ، وكم حفظ لنا تاريخ البلاغة العربية من النصوص والآراء التي تعلى من شأن اللفظ ، وترفع من قدرة وتشيد به .

وكم قرأنا لأسماء ذات رنين ودوى لآتهم الا بالصياغة ولا تعنى الا بالسبك . يقول أبو عثمان الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إظافة الوزن وتخفيف اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء . وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فأما الشعر صياغة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير) (١٥٠) ومن البلغاء من يقول : (فقر الألفاظ وغررها . كجواهر العقود ودررها فإذا وسم أغفاله بحسين نظومها حتى أعطاهما بتركيب شذوذها فراق سموها ، وجاء ماحرر منها مصفى من كدر المي والمخطل مقوما من أود اللحن والمخطأ ، يمج في حواشيه روفق الصفا لفظاً وتركيباً . قبله لثهم والتذ به السمع ، وإذا ورد على ضد هذه الصفة صدى لثهم منه وتأذى السمع به ، تأذى الحواس بما يخالفها) (٢٥)

- (١) الحيوان - للجاحظ - ج ٢ من ١٣١
(٢) مقال للمتقوطين بمجلة مركيس ص ٢٢١ سنة ١٩٠٧ م .

وقرأ المنفلوطي ما كتبه أبو هلال السكري في الصناعتين . والمخفاجي في (سر الفصاحة ، وابن الأثير في (المثل السائر) وكتابات الجاحظ والعباني وابن العميد حتى غدا المثل الأعلى للأسلوب - عنده - هو الذي يموج بالموسيقا ، ويفتن في العبارة ، ويغلب ويروق في حسن صياغة وثوب قشيب . ولقد استحوذت تلك الفكرة على الرجل ، وأثرت فيه حتى انه عندما يشرع في التمييز بين الشعراء انما يفرق بينهم على هذا الأساس .

(فاسمي الشعراء تصورا ، وأوسعهم خيالا اذا عجز عن ابلاغ ما في نفسه الى نفس السامع لا يساوي عنده منزلة من ضعف تصويره ، وحسن يانه ، فلمعاني كثيرة ، والخيالات مملوءة بها أذهان العامة من الناس ، ولكن العقبة الكؤود براعة التصوير ، وقوة البيان) ١

وأديب يرى المعاني كثيرة لاعتبة فيها وانما العقبة في براعة التصوير ، وقوة البيان . لا ريب أنه مأخوذ بذلك للمذهب معجب به . ومن اليسير ارجاع تلك العبارة المنفلوطية الى التراث القديم ان لم يكن بنصها فحري من النص .

يقول أبو هلال السكري :

(وليس الشأن في ايراد المعاني ، فلمعاني يعرفها العربي والجمعي ، والقروي والبدوي . وانما جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهاؤه وزاخرته وقاؤه) ٢

(١) مقال للمنفلوطي بمجلة سر كيس ص ٢٢١ سنة ١٩٠٧ م .

(٢) الصناعتين . لأبي هلال ص ٧ .

ولا مريم في تأثر المنظوطى بطك النظرية ، وإيمانه بها ، فاحتذى
الانماط التي تروقه ووقع منه موقعا حسنا ، وكذلك يجدى لنا أثر قراءات
للمنظوطى في فنه ، وتلوينها لطريقة تعبيره واتشائه .

ثالثا - الجانب التوجيهى :

تعرضت الحياة المصرية في القرن التاسع عشر لعواصف عاتية ، هبت عليها
من أوربا متمثلة في جيوش غزوية ومدنية وافتدة ، وفنون طريفة ، وطرائق
معيشية فيها من الجدة ما فيها . وانبهر للمصريون بما رأوا . وأصابهم من الدهشة
ما جعلهم يكبرون الأوربي - وآمن بذلك لفيف من المصريين . فاصطنعوا
من الوسائل مثل ما يصطنع واتخذوا من الأساليب ما اتخذ ، محاولين
تهليده ومحاكاته .

وأردفت أقدام مخدوعة تحت المصريين على الارتقاء في أحضان الغرب
والهمل من معين العذب ، ونبد القيود المقروضة ، والحدود التي تعوق التقدم .
وتعالت همهمات الزاوية والاستهتار بالعرب وما لهم ، والاشادة بالغرب
وما هم عليه . حتى اخلط الأمر ، ووقع الشك ، وحدثت الريبة .

وهنا لا بد أن نتذكر دير الشيخ محمد عبده الذي رأى ان القرب عن
الدين لا يقتصر عن المحطبة النورية . ودروس الأزهر . وانما يجب أن يتأخر
المرء عن دينه بالكلمة والقلم .

وأدرك الشيخ ان الناس مفتونون بما يقدم لهم من زاد أجنبي فيه -
لا شك - عناصر مريية ، فأراد أن يحث أديبا مسلما ذا اسلوب وبيان على

أن يخرج للناس ذلك الزاد ، ويقدمه في معرض رشيق ، وصياغة جميلة
مبتكرة ، تواكب تشوف القراء الى تلك القصص ، وتعمل على ترميمها بما
فيها من محاربة القيم ، ومجاعة الحقائق واسفاف وانحطاط . ١

ووجد الشيخ ضالته في تليذه . مصطنع لحن المخلوطي . فأوعز اليه
بذلك ورسم له الطريق . وبين له سبيله ومنهجه ، فسار على هديه ، واقتضى
اثره ، واقتدى به فكان من اعماله ما كان . ١

ولقد أصبحت النبلية في تلك الفترة لنوع جديد من انواع الأدب . وهو
المقال . وعرف به لقيف من أدباء ليسوا بمصريين ، بل ان بعضهم لم يقف على
لغته الا لاما . ولم يكن يعرف من العربية ما يوغر صدره شائكة . فالتوت
الاساليب ، وعثمت الصور ، واضعى المقال سردا مائيا . لا تائق فيه ،
ولا فيه . . ما جرى بالقراءة .

فكان لابد ان يبرى لكاتبه المقالات ادب فو بلاغة وفصاحة ، يشر
بوقع الجملة ويعرف من لغته واسرارها الكثير يقدم اولئك الذين يصعدون
الكاتبه ، ويمتزع منهم الاصحاب والتميز ، وكان هذا الاديب هو المخلوطي
بإجاز من الشيخ .

وعندما انس الامام في تليذه قدرة على الابداع ، ورأى فيه فكره
متمثلة بادية ساعده على الكتابة في المؤيد . ورحب بذلك الشيخ علي يوسف .
وعلى ذلك فطريقة المخلوطي في الكتابة انما هي الوجه العربي اعلم
بجواهر الردة ، ومردة النكوص ، وبواعث الصور ، وهي مواجهة حاجته

لذلك التفرقت إلى زوجها أعداء اللغة ، واليان العربي وهي دفاع عن النصف
المسلم الأزهري الذي يظن به الانحراق في اللون والافراط في الحواشي
والانصراف عن الفن والأدب والتأني عن الانماط الحديثة في الأدب العالمي .
ولقد أصاب العقاد شاكلة الصواب حيناً على : (التعصب للتغلو على تعصب
العربية آنذاك) (١)

راجا - جانب الذبوع والسيادة :

عندما قرأ الناس في العالم العربي الأعمال الفنية التي دمجها كبار الأدباء
في الغرب بهرم ما فيها من فن وإبداع وخلق ، وما تتضمن من أحداث
ومواقف . وصادف ذلك الفن هوى في قلوب الناس ، فأقبلوا عليه أقبال
المهيم وأسرفوا في ذلك .

ومن الاتجاهات التي حلت قبيل السبق ، وكان لها السيادة والذبوع
روائع الأعمال الرومانسية فقد استحوذت على الألبان ، واستولت على
الشعاع واللسان وانصرف الناس عن كتابات أخرى ذات اتجاه ومنهج إلى
النمط الرومانسي . في الصبر والحياة .

وهام الناس ويبدأ بإبطال تلك القصص ، ورواها فيهم أنفسهم فزادوا
بهم مقلداً وانحرفوا .

وإذا نزلنا

٢٧ (٧) رجال عرفتهم ص ٢٤٤

وكانت تلك الكتابات بما لها من خصائص ورؤى ترضى نزعات مصرية وتوافق هوى في الأمزجة ، يقول الاستاذ سماعيل آدم :

(وفي العصر الحديث حين اتصل العرب بالأدب الغربي ، لم يرقهم منه إلا الأدب الابداعي - الرومانطيقي - الذي يصور الأبطال ، ويفترق في الخيال ويترجم عن المواطن الجياشة) (١)

فلا غرابة اذا كتب المنغلوطى على هذا النمط ، وسار في ركاب ذلك الاتجاه وجاري تلك الموجة العارمة التي اجتاحت الأدب العربي ، والوجدان العام آنذاك .

ومن الممكن ارجاع المآخذ التي وجهها بعض النقاد الى أدبه . لطبيعة تلك المدرسة وأصول هذه الطريقة في الكتابة والصير . وعن تلك المبادئ كانت سبل المنغلوطى في الكتابة ، ولربما غبت الروافد الفكرية لديه والنتائج التي يستقي منها فنه ووجهه . ١

(١) توفيق الحكيم الفنان الخائر ص ٢٤٢ ، وعمر الدسوقي الأدب الحديث ج ١ ص ٣٣٤ .

الفصل الثاني

دراسة موضوعية في أدب المتفوضى

بروق بعض الدراسين أن يسارع فيرمي المتفوضى بالسطحية ، ويجهمه بالصياغة والانشاء وأنه لا يجالج أرائين الحقول ، ولا يناقش قضايا فكرية ، وليس في مكتته أن يصطنع الاسلوب العلمي .

ولسوف نرى ان أدب المتفوضى منجم لدراسات ونظرات ، وأنه يحوى أفكاراً وقضايا ، يناقش مواقف ومشاكل ويثير من الموضوعات التي تختلج بالاهتمام الشيء الكثير .

ونستطيع ان ندعي بأن المتفوضى . كان صاحب رسالة وفكر . وأنه حاول بشق الأنفس أن يبلغ رسالته ، ويؤدي ما عليه تجاه وطنه وقومه . بل أنه ليزداد رغبة ، فيحمل أعباء الانسانية ، وينوء بها . و أنا لا أغضب شيء الا للانسانية أن يختر نملها ، ويتنقض عهدا) وهو مصلح اجتماعي يرى في بني وطنه العيوب فيحاول رأبها في رهاقة حيناً وفي قسوة أحياناً . (ان في المصريين عيوباً جمّة في اخلاقهم وطباعهم ، ومذاهبهم وطوائفهم) .

كلّ لا بد للمتفوضى ان يتصدى لتلك العيوب ، ويحارب ما يراه من من قصور . ولا سيما وقد غدا لغة الفكر في مصر أمس الحاجة إلى مرشد ودليل .

(ما أعظم شقاء هذه الأمة ، وأشدّ بلائها . فقد أصبح سلطانها في حاجة الى دعاة يتبرون لهم طريق الدعوة) وهو يوطن نفسه على تحمل الإساءة ، وتحمل العناء لأنه يعرف ما يعرض له الدعاة من اهانة ، وما يلاقون من ويل . (الدعاة الصادقون لا يبالون أن يسميهم الناس خونه أو جهلة أو زنادقة . أو ملحدين أو ضالين أو كافرين لأن ذلك ما لا بد أن يكون) .

ولقد رسم لنفسه سيلاً ، واتخذ طريقاً ، وسن لنفسه منهاجاً يترسسه ، فهو يحاول أن يغير في أفهام الناس ، ويعدل من تصوراتهم ، ويهذب المثل الأعلى لديهم . فالوسيلة العملية للتغيير لديه هي تغيير الأفهام والتصور (من شاء أن يهذب أخلاق الناس ويقوم معوجها ، فليهذب تصوراتهم ، وليقوم أفهامهم يوافقه ما يريد من التهذيب والتقويم » ١٤) .

وكم كان المنفلوطي وفياً لمبدئه ، متبعاً لمنهجه وأدبه - في الواقع - صورة صادقة لتلك التصورات التي قد منها وأية ناطقة بالتزام الرجل ودليل على أنه صاحب رسالة وفكر - على خلاف ما يشاع عنه ولسوف أحاول أن أركز على أهم المضامين والأفكار التي تناولها المنفلوطي في أدبه .

أولاً - الشباب :

الشباب هم عدة الويلن ومستقبله وأمله، والمنفلوطي المصلح الراعية . أهم بأمر الشباب ، وخصهم بمزيد من عناية وفضل من تعهد ، يستفهم أحياناً ويلطفهم مراراً ويوجههم ويسددهم .

(١) النظرات ج ١ ص ١٥٥

لقد مد للغلوطة بصره فألقى شيئاً عجيباً رأى شباب بلاده يخلو عن صفات الرجولة ، وخلال الشهامة ويخلق بأخلاق النساء ويخذ من الزينة ما يقرب الشقة بينه وبين الجنس الآخر ، وسمع لكنه لم ترقه ، وشاهد تخشاً وتفترأ وفسولة . فثار الرجل حرصاً على شباب وطنه غاطبهم قائلاً : أصبح انكم قد تم في تلك السبل التي تسلكونها . خلق الرجولة والشهامة فأصبحتم تتجملون للنساء بأخلاق النساء وتزدلقون اليهن بمثل صفاتهن وشمالهن وأصبح الرجل منكم لأم له في حياته إلا أن يجمل في ملبسه وينكسر في مشيته ويرفق في صوته ويلون ابتساماته ونظراته بألوان التضعيف والتور ويقضي الساعات الطوال أمام مرآته متصفاً شعره بالترجيل ، وبشرته بالتشير وتنايله بالمقل والجلد ، حتى صار ذلك عادة من عاداتكم التي لا تنفك عنكم ، وحتى صار أمرى التأنيث من أجسامكم الى هوسكم فلم يبق فيكم من صفات الرجولة واخلاقها غير الاسماء والالقاب (١)

وانا كان الشباب قد وصلوا الى ذلك الدرك فمن يتقدم امام فيه ؟
 لعله القانون ؟ انه خزائنه وم ، ولعله الحكومة ؟ انها تائهة في شئونها لعله الدين ؟ انه ومن وهان وبعد ان يستعرض المغلوطة كل من يرقب منهم التأثير لا يجد أجدى من ضائر الشباب ولا افيد من مخاطبة وجدانهم .
 (اتى لا افزع في أمركم الى القانون . فالقانون في هذا البلد مدني لا ادبي ولا الى الحكومة ، فالحكومة مشغولة بشأن نفسها عن شأن غيرها

(١) النظرات ج ٣ ص ١٢٢

ولا الى الدين فقد ضعف شأنه في نفوسكم حتى هان أمره عليكم ، ولا الى آبائكم واولياء أموركم فقد عجزوا عنكم ، بل افرغ في أمركم الى ضائركم التي هي الأمل الباقي لنا بعد فقد جميع آمالنا فيكم فأصغوا الى صوتها ساعة تسمعوا منها هذا الرجاء الذي نرفعه اليكم ، وصوت الضمير أقوى من كل صوت في العالم)

وما الذي حدا بالشباب الى هذا المستوى ؟ واين التعليم الذي تلقوه في المدارس ؟ واين اثر التربية على سلوكهم ومشاربهم ؟ ان المتفوضى يلقى .. النجاسة على سبل التعليم ومناهج الدراسة ونظام المدرسة ، ويحمل القائمين على شئون التعليم مغبة صنيعهم ، فالشباب رغم ما عليهم لهم بعض العذر لأنهم (خرجوا من المدارس ببلادين ولا وطن ، اما الدين فلأن اكثر مدارسنا حتى الأهلية منها مادية محضة لا تعلق للدين بشأن من شئوننا ، وأما الوطن فلأن المدارس عندنا تديرها من وراء ستار أيد أجنبية تربي التلاميذ لها لا لأوطانهم) « ١ »

وما ذلك الا أن المدرسة لا تتسع متاهجها فتشمل الحياة بآفاقها على تلقين الشباب قواعد العلم ، مفضلة قواعد الحياة واصول التعامل متتالية انه قد يوجد تناقض بين النظرية والتطبيق وان الشباب بحاجة ماسة الى الاحكام الفعلية بالحياة ومجاوبة ظروف الواقع وانه من الخطأ ان يقع الشباب بين

(١) النظرات ج ٣ ص ١٥٣ .

جدران من المعهد او المدرسة يحفظ ويجد حتى اذا لفظته المدرسة الى حيث الحياة الصاخبة العاتية ضل سواء السبيل . .

(يجب ان يعلم الطفل من اول يوم يجلس فيه امام مكتب مدرسة ان الوجود في الحياة غير الموجود في المكتب) (١)

واذا كان لبعض الشباب عنر لأنه لم يتل حفا من التعليم ولم يتزود بقسط من الثقافة فما بال اولئك الذين وصلوا الى الدرجات العلى وقالوا ارفع الأوسمة ما بالهم يصحطون في الردى، ويأتسون من الأمر اذله ، ومن الاخلاق اردأها ؟

انما مرد ذلك الى بغيثهم في الحصول على الشهادة والظفر بلك الورقة التي لا تسمن ولا تقنى من جوع ، فالشباب لا يتأثر بالعلم لأنه لا يعمل له وانما ينصب في سبيل احراز الشهادة والعشور عليها . ولا علاقة له بالعلم من قريب او بعيد ويسخر المغلوطى به هذا الشباب الذى يجرى وراء الرخصة شأن شبابنا فى أيامنا هذه . .

(ان اعتدادك بهذه الورقة هذا الاعتداد كله واكبارك اياها هذا الاكبار العظيم دليل على انك تريد ان تجعلها متهى املك وغاية همتك وانك لا ترى بعدها مزيدا لمستزيد . . باب الشرف مفتوح بين يديك لا شأن للحكومة فيه ولا حاجب عليه وما هو ان سجد في العلم والمعرفة .

(١) النظرات ج ٣ ص ١٢٢ .

واسع كال ما يتقصصك من الفضائل للنسبة فلما انت شريف في نفسك وفي
نفوس الخاصة من الناس واذا انت في منزلة يحسدك عليها ارباب الشهادات
والمناصب ، لا جياقه يحى بورقة ويموت بأخرى . ولا مجدداً يأتي به
سطر ، ويذهب به سطر (١)

والمفولطى منصف عادل لا يلقى باللائمة على الشباب ، وانما يتقصى
الأسباب ويبحث عن الدوافع ، حتى اذا رأى شاباً قد أجرم وأذنب لم يحمله
وحده تبعة عمله ، وانما يشهر في شجاعة الى شر كانه الذين سولوا له للتكر .
ولم يضطهروا بما يجب عليهم حياته . يقول عن شاب مجرم مذنب . (لا أنظر
اليك بالعين التي ينظر اليك بها القاضى الذى قضا عليك في حكمه لاني أعتقد
أن لك شركاء في جريمتك ، فلا بد لي من أن أنصفك ، .. شريكك في
الجرمة أيوك لأنه جمعدك بالترية في صفرك ، ولم يحل بينك وبين مخالطة
المجرمين فهو الذى غرس الجرمة في نفسك . ١١

شريكك في الجرمة هذا المجتمع الانسانى القاسد الذى أغراك بها ومهد
لك السيل اليها ، شريكك في الجرمة حكومتك لأنها كانت تعلم أن الجرمة
هى الحلقة الأخيرة من سلسلة كثيرة الحلقات ، وكانت تراك تمسك بها حلقة
حلقة ، وتعلم ما سينتهى اليه أمرك فلا تضرب على يدك .

كانت حكومتك تستطيع أن تعلمك وتهذب نفسك ، وأن تخلق بين
يديك أبواب الحافات والمواخير وأن تحسن تأديتك في الصغيرة قبل أن تصل
الى الكبيرة ، ولكنها أغفلت أمرك فقامت عنك يوماً طويلاً .

كل مؤلف شركاك في الجريمة وأقسم لو كنت قاضياً لأعطيتك من العقوبة على قدر سهمك في الجريمة .

الصليم :

تهم الدولة المقدمة والتي تبغى التقدم بالتعليم فتهذب من أساليه وتستحدث من وسائل . وتدخل على برامجها مآثره صالحاً مفيداً .

ويرى للخطوطي طلبة العلم تركبهم المنة وتهيمن عليهم السكته ، ويضعون السفهاء من الناس ، ويهزلتون لأصحاب الجاه والسلطان غافلين عن مكائهم ، جاهلين مقدارهم .

فطالب العلم منظر الى السمو وعلو الهمة

وقديما قال القاضى الجرجاني .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ما حياه بالأطباع حتى تنجى .
ولم أجعل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ، لاقيت حتى لأخلم

فطالب العلم منظر الى السمو وعلو الهمة . (وليس في الناس من هو

أجوز الى علو الهمة من طالب العلم وابرز مصدر العلم آنذاك هو الأزهر .
ولكنهم يهتم بالتحفظ والتقليد ، ويحيى بالمحاكاة والتزديد .

فيشن المتفوضى حلة شعواء على ذلك الأسلوب الصحفي لأن (العلم المحفوظ
يستوى صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم) (١)

وكثرة الحفظ لاتدل على عبقرية . ولا تفني عن مولد عملاق لأن
(الحافظ يحفظ بما يسمع لأنه قوي الذاكرة وقوة الذاكرة قدمشركين الذكي .
والقوي والثابة والحامل ، لأن الحافظة ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات) (٢)
ويرد الانحراف الى هذا الأسلوب الخاطيء في التعليم ، واكثر ما ترى
من بلبلة وريب انما كانت نتيجة للحفظ والتزديد . (لولا أن العلم الديني قد
أصبح اليوم علماً محفوظاً لما وجدت في العلماء من يجمع بين اعتقاد الوحدانية ،
وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات في مزارتهم وفي مقابرهم) .

والحفظ سبيل الجذب التكري ، لا يستطيع حافظ ان يكون ذا رأى
ولا يمكنه أن يصدر فينتي أو يرجع . وهذه آفة كبرى ووصمة أليمة
الوقع . (وحيلة القول ان الحافظ البحث لا رأى له في بحث ، فينأى عن
مذهب ، ولا أثر لمعلوماته في نفسه فيفتدى به ، ولا فروق له في الفهم فيعتمد
على شزحه وتأويله) (٣)

(١) النظرات ج ١ ص ٢١٥ (٢) للرجع السابق .

(٣) النظرات ج ١ ص ٢١٨

لأن المتفلسفي يقولون الاكثار من التطبيق ، ومزج النظرى بالعمل ،
والحفظ بالممارسة وتحييب الطلبة في المادة وترغيبهم في دراستهم .

(لا يقال المتعلم حظه من العلم الا اذا استطاع تطبيقه على العمل ، والارتفاع
به في مواضعه ومواطنه التي وضع لأجله ولن يستطيع ذلك الا اذا استكثر
له معلمه من الأمثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم وافق له في ايرادها
افتنانا يقرب الى ذهنه تلك الصلة بين العلم والعمل ، ويسهل له الوصول الى
القدرة على تلك المطابقة) (١)

ويسخر المتفلسفي من علماء النحو العربي الذين يعكفون على ترديد
أمثلة بالية مثل زيد ، وعمرو . وضرب أحدها الآخر ، ويقترح ابداعهم في
في سجن حتى يدعوا مام عليه من سخف واسفاف . (لو كنت مستولاً لما
أطلقت سبيل هؤلاء النحاة من سجنهم حتى آخذ عليهم عهداً وثيقاً أن يتركوا
هذه الأمثلة البالية الى أمثلة جديدة مستطرفة ، تؤنس نفوس المتعلمين ،
وتذهب يوحشهم) (٢)

ولا ريب ان مناهج التعليم على ما هي عليه لن تؤدي الا الى فساد الذوق ،
وجهامة التصور وفداحة الخيال ، ولن يؤتي العلم ثماره ، (وعلام يعلم النحو
والصرف ان عجز أن يقرأ صحيحاً كل كتاب وكل صحيفة ١٢ وعلام

(١) النظرات ج ٢ ص ١٣

(٢) المرجع السابق

يعلم علوم البلاغة ان عجز عن معرفة أسرار الكلام وأوجه بلاغته وفهم
الواد من مختلف أساليبه ، وعن الابانة عما يدور في نفسه ايانة واضحة
لا يشوبها قلق ولا اضطراب ا

وعلام يعلم المنطق ان عجز عن التمييز بين فاسد القضاء وصحيحها في كل
ما يعرض عليه منها ، وان لم يكن الموضوع الانسان والمحمول الحيوان
الناطق (١٥) .

ويلغ به الضيق مبلغه ، فيطن ثورته على تلك الطريقة المتبعة في الأزهر
ويصدع بما يرى في صراحة وصدق غير مبال بما يلي ، ولا ملتفت الى
ما يعاني . (مادامت مدرسة الأزهر على هذه الحال من أسلوب التعليم والعقم ،
فليس بمقدور لها في مستقبل الأيام أن يذيع منها العلماء الذين تستطيع أن
تفتن بهم الأمة انتفاع أمثالها بأمثالهم في شارق الارض ومنازلها ، فويل للعلم
من العلماء) (٢٥)

ويجب أن تقوم ثورة على نظم التعليم ووسائله ، ويتغير تصور المعلمين
والمعلمين ، ويتجدد النمط التعليمي حتى تقطف ثمرة ، ونجنى غرساً وأما
اذا ظل على طريقته فهذهات . ولن نعتز على تابعين ولا تابعين (لن يبلغ
للتعلم درجة النبوغ الا اذا وضع في العلم الذي مارسه مسألة أو كشف حقيقة
أو أصلح هفوة . أو اخترع طريقة ، ولن يسلس له ذلك الا اذا كان عليه

(١) المرجع السابق

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٨

مفهوماً لا محفوظاً ، ولا يكون مفهوماً الا اذا اخلص المتعلم اليه ، وتعبده .
وأنس به أنس العاشق بمشوقه ولم ينظر اليه نظر التاجر لسلعته ، والمحرّف
لحرفه (١٥)

ولا بد أن يضيق مفهوم الناس عن العلم والتعليم فليس وسيلة لنيل الدرجات
ولا سبيلا لجمع المال ، ولا سبيلا لكسب شهرة ، ولن يحدث ذلك الا اذا
تغيرت المفاهيم ، وتعدلت القيم . وهذا هو السبيل الأمثل لرفعة شأن التعليم
والنهوض به . فالعلم قيمة يجب أن يحض الناس عليها بالتواجد . (لا يزور
العلم قلبا مشغولا يترقب المناصب ، وحساب الرواتب ، وسوق الآمال وراء
الأموال ، كما لا يزور قلبا مقهما بين تصنيف الطرة ، وصقل الفرة ، وحسن
القوام ، وجمال الهندام ، وطول الهيام بالكاسين كأس المدام وكأس
الغرام) (٢٥)

ويولى المنفلوطي اهتماما بالتعليم الأزهرى لأنه أسس التعليم الدينى ،
ويجب أن يتحرر مما فيه من خلط واضطراب ، ويتخلص من منهجه العتيق
الذى يبيع بالترهات . ويغيب خداما وكذبا فيسخر من نظام التعليم في
(معاهد الدين حيث يطلق المتعلمون الدين جسميا بلا روح ، وعلميا بلا عمل ،
كأنهم يظنون بدراسة احدى الشرائع الدائرة ، أو أحد الأديان الغائبة ،

(١) المرجع السابقة .

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٣٠

وحيث يظنون كشكولا عجيبا وخلقنا غريبا من الأكاذيب والزهات ،
 فلا تكاد نسمع من أفواههم الا حديثا موضوعا أو قولا مصنوعا ، أو خرافة
 تاريخية ، أو بدعة دينية ، وحيث يقضون حياتهم في المناظرات والمجادلات
 والتعاسد والتباغض والتقاطع والتدابر ، وهي جينها الأخلاق والردائل التي
 ما جاءت الا لدين الا لمخرجها والقضاء عليها فهم يهدمون حيث يظنون أنهم
 يبنون ويسيثون ويمسكون أنهم يمحسون صنفا (١٥)

وبعد أن ينتقد مناهج التعليم وسيلة ، ويرى أنها لا تصلح ولا تنفع ،
 من جوع ، يرسم الطريق وبين المنهج ثم يخاطب طالب العلم وهو البتة
 التي تشكل ، والأصل الذي ينبغي عليه ، يبحث على الاجتهاد ، ويعني منه علو
 المهمة والرفعة والطموح والتسامي .

يا طالب العلم كن عالي المهمة ، ولا يمكن نظرك في تاريخ عظماء الرجال نظرا
 يبت في قلبك الرهبة والمهبة فتضائل وتضاعف .

يا طالب العلم أنت لا تحتاج في بلوغك الغاية التي بلغها السابقون من قبلك
 الى خلق غير خلقك ، وجو غير جوئك ، وسما وأرض غير سمائك وأرضك
 وعقل وأدوات غير عقلك وأدواتك ، ولكذك في حاجة الى خمس مائة ،
 كنفسهم ، ومئة طلبة . كهنتهم ٥٢٥ .

(١) النظرات ج ٢ ص ١٣٠

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٥

وهكذا نفذ المنفلوطى الى أسرار التظيم في وقته وجل ذلك بما زال
موجودا فعانى منه ، ونشقى به ، ونحتاج الى منفلوطى آخر .

الأخلاق الزائفة :-

قدم الاوربى الى مصر فجلب للدينه وأتى معه بوسائل التقدم والازدهار
ولكنه خلط كل ذلك بسموم دخيلة تخسرت في عظام الأمة وقوضت من
أخلاقها الراسخة وأتب عليها من القواعد .

وانبهر المصرى بما رأى فولى وجهه شطر الرجل الاوربى مقلدا ومحاكيا
من غير وعى ولا ادراك لما يأتى وما يندر ، فخر ذلك ماجر على الاخلاق
وأحلت تغييرا في تركيب العادات والاعراف ، وتذكر لقيف من الناس
لأعرافهم وعاداتهم الموروثة وهاموا وجدا بكل طريق عبر البحر وجديد وافد
ذى رطانة وعجمة .

وهنا يصرخ المنفلوطى (أن فى المصرين عيوباً جمة فى خلاقهم وطباعهم
ومذاهبهم ومادتهم (١))

ويدرك المنفلوطى ان المدنية الغربية اهتمت بالجهد واهملت الضمير
ففسدت الحقائق والتوت طرائق الأمور ، وتكسب الناس الطريق السوى .
ولكى يعود الأمر الى سالف عهده لا بد من اصلاح الضائر ، وبعث الاصاله
فذلك قيمة يحمل الجر من عليها .

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٢

(الخلق هو أداء الواجب لذاته ، بقطع عما يرتب عليه من النتائج ، فمن أراد ان يعلم الناس مكارم الاخلاق ، فليحى ضمايرها ، وليبحث في قلوبهم الشعور بحب الفضيلة والنفور من الرذيلة بأية وسيلة شاء ، ومن أى طريق أراد ، فإبست الفضيلة طائفة من المحفوظات تحشى بها الأذهان ، بل ملكات تصدر عنها آثارها صدور الشعاع عن الكوكب ، والأريج من الزهر)

وأدى فقدان الضمير الى رسوم واشكال ليست من الاخلاقى فى شيء وإنما هى مظاهر انحلال ، ودلائل ضعف وضياع ، ويظل لنا التسلطوى صورة من ذلك قميص مرارة وتذوب حبرات وما زالت الاخلاق تخرج حتى خذلها من ذلك الضمير وتغلى عنها ، وثوكت قيادتها البانات والمصطلحات والقواعد والانظمة ، فقد أمرها ، واضطرب قلبها ، واستعالت الى صور ورسوم واكاذيب والاعيب ، فرأينا الحاكم الذى يقف بين يدي الله ليؤدى صلاته ، واسواط الجلادين تمزق على مرأى منه ومسمع جسم رجل مسكين لا ذنب له عنده إلا ان يملك صباية من المال يريد ان يسلبه إياها ، والأمير الذى يقرب الى الله يتاه مسجد قد هدم فيه ألف بيت من بيوت المسلمين والنفية الذى يورع عن تمخين غلونه فى مجلس القرآن ، ولا يورع عن مخالفة القرآن نفسه الى خاتمه والفقير الذى يسبح الله فى جوف الليل من الجوع فلا يروى ولا يعقل به ، فإذا أصبح الصباح ذهب الى ضريح من

(١) النظرات ج ٣ ص ١٤٤

اضرحة الاولياء ، ووضع في صندوق التذور بكرة من الذهب قد يضع بها
من الحاجة به اليها . واللومس التي كصديق بنفسها ليلة في كل مام على روح
بعض الاولياء . وعندها انها قد كفرت بذلك عن سيئاتها طوال العام (١٥)

ثم يرمم طريق التجارة من الاخطبوط الغربي ، مينا أنا لا نستطيع أن
تدفع غائلة التزوي الا اذا كان لدينا أخلاق ولنا قوة ذاتية ، اذا قد التئ . لا يعطيه
وعلاقت الأمم والشعوب تبغي على قوى الضعيف ومؤثر ومتأثر (والشتر لا
يقاوم الا بالشر ، والظلم لا يدفع الا بالظلم وحامل السيف لا يضمنه في غمد
الا أمام حامل سيف مثله ، والسيل الجارف لا يتوقف عن جرياته الا اذا وجد
في وجه سدا يعترض طريقه ، والظالم الا اذا وجد بين يديه ضعيفا والمثال
لا يحتمل الا اذا وجد أمامه غيا ، والناس لا يصامون ، ولا يصعاجزون ولا
يأمن بعضهم الا اذا برزوا جميعا في ميدان واحد يقتلون سلاحا واحدا من
نوع واحد (٢٥)

ويلحظ المتفلسفي فرقا كبيرا بين النعمة الى خلق مهين كقيمة وبين
ما أراد ، وسهولة ما يصر من التترك الذي يتصب على اشلاء الاخلاق الزائفة ،
والضلال للدير المنوه بطلاء من التجايا والحمد ونجبة في صرف الناس عن
الحياة ، وحبا في الاستثار بطيات الحياة الدنيا فيكشف المتفلسفي القباب عن

(١) النظرات ج ٣ ص ١٤٣

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٦٧

تلك التصرفات المرية والدعوى المزيقة (ان النبل الى المر والاخيان والرحمة
والشفقة والعدل والانصاف والصدق والاخلاص في هذا العصر انما هو
حياة ينصبها الأقوياء الماكرون للضعفاء الساذجين ليخدعواهم بها عن مائدة
الحياة التي يجلبون عليها وليستأثروا بها من دونهم ، فلا يدعوا الداعي الى
الكرم الا ليقبل ما في جيوب الناس الى جيبه ، ولا الى القناعة الا ليقبل من سواد
المزاجين له على اعراض الحياة ومطامعها ، ولا الى الصدق الا ليحظى وحده
بسررات الكذب ومزاياه) (١)

وتكمن العلة في تلك الاخلاق الزائفة نتيجة للتقليد الغربي ، وهياما بكل
اجنبى ، وما يؤسف له ان المصرى لا يرى في الغربى الا مساوئه ولا يأخذ
عنه غير التافه في الأمر ولا يحاسبه الا في الصغار والشار ، واولى به انه
أن يقلبه في الإيجابى من اخلاقه والتمتاز من صفاته . ولكن قاتل الله
الاخلاق المدخولة ، والحلال الزائفة والاعراف الناعرة (يريد المصرى ان
يقبل الغربى في نشاطه وخصه ، فلا ينشط الا في عدوانه ورجائه ، كما
جد الجند واراد نفسه على ان يعمل عملا من الاعمال المحتاجة الى قليل من
من الصبر والجلد دب الملل الى نفسه ديب الصباه في الأعضاء) (٢)
ويرجع سوء الفهم الى ضعف الاخلاق العامة . فان المصرى كما م يظن

(١) للرجع السابق

الأوربي لم يجد أمانه غير التاذج الصفة ، والسلوك المشين لأن ذلك تعب للنفوس
وتخفف مؤتم على الناس ويشع رغبة جامحة ، وتطلعات شيلة والمتلوطى
ينمى على المصرى هذا التقليد المخزى ويشجب ذلك السلوك المشين . حتى يصل
بالمصرى الى سبيل الرشاد (يريد أن يقلده فى رفايته ونعمته فلا يفهم منها
الا ان الأول الثابت فى الحركات والثانية الاختلاف الى مواطن النفس ،
ونحايه التجود) (١)

حتى عندما يقلد المصرى الاجنبى فى الدافع عن الحمى ، يقلده فى القشور
دون الباب ويهيم بالظاهر الواهن دون الباطن القوى ، وما ذلك الا لأنه لم يقف على
القوى ولم يفقه الغرض ، ولم يعرف الحكمة مما يأتى ، ولا الامر فى ما يذر .

(يريد أن يقلده فى الوطنية فلا يأخذ منها الانقياء ، وشجيجها وصغيرها .
فلما قيل له هذه القناعات . فأتى النتائج ؟ أسلم رجله الى الرياح الارج .

واستن فى فرارة استلن المهر الارمة . فلما سمع صرخ الصافر مات وجلا .
وإذا رأى غير شيء ظنه رجلا) (٢)

فلذا أفرصنا عن ذلك وجدنا المصرى عندما يقلد الغربى فى ما يفيد لا
يحسن ذلك أيضا يقلده فى العلم فلا يتقلد عنه غير حمل متحورة ، وقضايا يؤمن
بها لسانه ، ويقنع بما يعثر عليه من زهد القائمة ، وقليل الجدوى .

(١) المرجع السابق .

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٢ .

(يريد أن يقلقه في العلم فلا يعرف من الكلمات يرددها بين شذقيه ترديدا لا يلجأ فيه الى ركن من العلم وحق ولا يستصم به من جهل شائن ، يريد أن يقلقه في تعليم المرأة وتربيتها فيقتنه من عليها مقالة يكتبها في جريدة ، أو خطبة تخطبها في محفل ومن تربيتهما التفتن في الأزواء ، وللقبرة على استهواه النفوس ، واستلاب الأبواب) (١٥)

وإذا كان ذلك مبلغ علمه في الفضائل الغريبة فكيف به في رزائلها ؟ لا ريب إن ذلك يدفع بالمجتمع الى الهاوية ، ويقدفه في خضم الجحيم ، ويسير به نحو الردى .

وماذا يتظر المجتمع من أناس لا يفرقون بين خير يراد وشريكاد ؟ ولا يميزون بين ألين من الأمور فكيف بالمشبه منه ؟ لا ريب في أن ذلك خطر دائم يجب التنبيه عليه ، وشرب الحبيطة منه ، وإن يقدم مجتمع . (هذا شأنه في الفضائل الغريبة بأخذها صورة مشوهة وقضية معكوسة . لا يعرف لها معزى ، ولا يتحى لها مقصد فيكون مثله كمثل جهة للتدبين الذين يخلدون السلف المناخ في تطهير الثياب ، وقولهم ملائح بالأفذار والاكذار أما شأنه في رزائلها فانه أقدر الناس على أخذها كما هي ، فيصحر كما يصحر الغربي ، ويلحد كما يلحد ، ويستتر في الفسوق استتاره ، ويعزم في العجور أنارة) (٢٥)

(٧) المرجع السابق

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٢ .

وذلك التقليد الأعمى الذي يسير فيه ، وتلك الاخلاق الزائفة التي لا تصنع رجلا ، ولا تخلق رجلا ومجتمعا ذا صينة وعرف . قد جروا على الأمة العربية الضعف الثقافي . والتهاون الفكري ، وأنشأ جيلا مبتوت الصلة بماضية ، واهن الأصول ، لا يعرف تاريخه ولا يدرى ماله من قيم وامالة وأدى ذلك الى الانهيار والتبور . (أن مرا على التاريخ المصري أن يعرف للسلم للشرق من تاريخ يونانرت ما لا يعرف من تاريخ عمرو بن العاص ، ويحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية مالا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمدية ، ومن مبادئ ديكارت وأبحاث داروين مالا يحفظ من حكم الغزالي وأبحاث ابن رشد وبروي من الشعر لهوجو . مالا يروى للمتنبى والمصري) (١٥)

وما يشن المغلوطى تلك الحملة الا من فرط جبه لوطنه ، وجذب على بلده ، وخشية أن تتدنر معالم البلد بين أنياب الغربى ، وتضيع سمات الشرق وتجبد ملامحه لدى الزحف الغربى للتوثب .

ويبقى المغلوطى ناقوس الخطر معنا توقع البلاء ، ومحننا من منبة ذلك السلوك المريب . فيجأر في صدق لا يدانية صدق ، واخلاص دونه كل اخلاص ، وما يحته على صنيته ذلك الا لأن (الأمة المصرية أمة مسلمة شرعية فيجب أن يقى لها دينها وشرقيتها ماجرى نيلها في أرضها ، ودعت أمرها في محاتها . حتى تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) (٢٥)

(١) النظرات ج ١ ص ١٣٣

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٠

المسألة :-

تشغل المرأة حيزا كبيرا في الآداب العالمية ، ويرجع ذلك الى ملغها
من مكانة ، وما تتمتع به من امكانيات يزعم لها الأدباء ، ويؤمن بها كل من
يحمل قلبا .

والمرأة وقضاياها شغلت أذهان الفلاسفة وأخذت جانباً لا بأس به من
اهتمامهم . ولها في الاسلام مكانة محمد عليها ، ومترتبة لها فيها في تشريع
غير القرآن .

وفي العصر الحديث استحوذت المرأة على كتابات الأدباء والمصلحين
تبعاً للمكانة الجديدة التي حظيت بها في المجتمع الصناعي ، وما أتى به من قيم
جديدة ، وأعراف كانت منكورة أو مجهولة في السابق .

والمطلع على أدبنا العربي الحديث يلاحظ الاهتمام البالغ للمرأة وقضاياها .
ولعل الجيرقي كان أول من أهتم بها ، ولكن الذي جسد قضاياها وأثارها
هو الزائد العظيم رفاعة رافع الطهطاوي فهو أول من دعا الى تعليمها ، ونفذ
ماهي عليه من جهل وتخلف .

ولقد أرجع الناس كل فضل كسبه المرأة الى علم أمين تأليفه كتاب
(تحرير المرأة) سنة ١٨٩٩ م . والرجل كان يدفعه الامام محمد عبدود
الى ذلك وما تجد ملاحظته أن الشيخ حمزة فتح ايم قديم سبق (طيم أمين)
في عهده .

حين ألقى بحثا ضافيا عن حقوق المرأة سنة ١٩٨٩ في استكهولم لدى

مؤتمر المستشرقين وكان عنوان بحثه (بأسكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام)

ولقد مالج المشغولي قضية المرأة ، وأشار حولها جديلا وحوارا ، مستندا سهامه الى القائمين على الامر ، ومصرها لومه تجاه القوية السيئة ، والمفاهيم الخاطئة .

وأول قضية يتخذها المقرضون قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) ويستعملون تلك الآية كل جريرة ، ويستعملون كل جرم . ناسين ما للمرأة من فضل وما لهن من خير .

(نعم الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز ولكن المرأة عماد الرجل وملاك أمته ، ومسرحياته ، من صرخة الوضع الى آفة النزاع) ٤٢

ويتساءل المرء عن سر اهتمام المشغولي الشيخ بالمرأة ؟ والجواب سهل يسر فالمرأة هي الحياة ولا يستطيع الانسان أن يجعل الحياة بلا امرأة . ولا سيما الجانب المعنوي والموحي فيها . اذ المرأة مخدرة بما أوتيت أن تحيل دعة الرجل الى همة ، وحكمة لياليه الى ضياء ، وتبته على نوائب الدهر ، وضروف الزمن .

(وجهة القول ان الحياة مسرات واحزان ، أما مسراتها فتعني مدبوتون فيها للمرأة . لأنها مصدرها ويتبعها القى تتدفق منه ،) أما أحزانها فالمرأة

(١) النظرات ج ٣ ص ٨٨

تولى تحويلها الى مصرات ، أو تزويجها عن قوس أصحابها على الأقل ،
فكانتا مدينون للمرأة بحياتنا كلها (١)

وهناك ذريعة أخرى جوّلا عليها من يريد الاضرار بالمرأة جهما
بضعف الفهم ، وقصور الادراك مستغلا الاثر الذي يقول : المرأة أقل من
الرجل عقلا ودينا . وزاعما أنها لم تخلق الا متعة للرجل ، وراحة له ، وتسلية
لوقتة ، وتزجية لقراغه . ويصمدى المنفلوطي .

(انها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل . فيجب أن يكون حفظها منها
مثله . انها لم تخلق من أجل نفسها فيجب أن يعترفها الرجل لذاتها ،
لا لنفسه) (٢)

ويناقش المنفلوطي تلك الظاهرة الخداعة التي يديها للرجل تجاه المرأة
من حنو وعطف ورحمة وقد زعموا أن ذلك غاية التكريم ، ونهاية الاجلال ،
ممتنين عليها بطيماها الناسد ، وتزويجها السيئة ، ولكن المنفلوطي يحدد تلك
الاضاع ويضعها في نصابه الصحيح ، ويرد على السفهاء كيدهم وسفه
أحلامهم في قوة وردع .

(قد نحنو عليها ونرحمها السيد بالعبد ، لارحة المديق بالمديق .
وقد نصفيها بالعفة والطهارة ، معنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والحياء ، لا عفة
النفس والضمير ، وقد نهتم بطيماها وتخرجها ، ولكن لا باعتبار أنها

(١) النظرات ج ٣ ص ٨٨

(٢) النظرات ج ٣ ص ٩١

إنسان كامل ، لما الحق في الوصول الى ذروة الانسانية التي تربدها والتمتع بجميع صفاتها وخصائصها . بل لنعهد اليها بوظيفة المريسة والخادم والمرضة أى أننا ننظر اليها بالعين التي ننظر بها الى حيواناتنا المنزلية . المستأنسة ، لانسدى اليها من النعم ولا نخلع عليها من الحبل الا ما ينعكس منظره على مرآة نفوسنا فيملؤها غبطة وسروراً (١٥)

ويضع المتفوضى يده على أسس البلا . ويرى أن مرد وتلك المعاملة الى الجهل الخيم على الرجل والمرأة كليهما ، ويجب علينا اذا أردنا أن نقي مجتمعنا مضار الفساد ، وعاقبة الد ار أن نعمل على تعليمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة . إذ ترجع الاخطاء التي تزدى فيها المرأة الى الجهل وترجع المعاملة السيئة التي يتعامل بها الرجل مع المرأة الى الجهل أيضا . وليس هناك من سبيل الا تعليمها وتهذيبها .

(اذا اردنا أن نعال المرأة حقها من الرجل ، وان تقتصف منه ، فليس سبيلها الى ذلك الغلبة والمصارعة ، بل السبيل اليه أن نعلمها لتعرف كيف تستطع وتسرحه . وكيف تحمله على اجلالها واءظامها . وان نعلمه ليستطيع أن يكون شخصاً كريماً وانساناً رحيماً) (٢٥)

ويراقب المتفوضى الأمور فإذا بالمرأة سجيئة قد ضرب عليها سياج من الصعك ، لا تلى من أمر نفسها شيئا ، ولا تعلم أن تهمل أو ترفض ، وانما

(١) النظرات ج ٢ ص ٤٢

(٢) النظرات ج ٢ ص ٩١

فى رهينة ودعة ، لا تتمتع بحرية ، ولا تتحمل مسئولية ، قد حيل بينها وبين إرادتها ، وليس فى ذلك ما يرضى به الدين ، ولا تحض عليه المروءة ولا يقبله الانسان السوى ، وإنما الغطسة للتركية ، وتأثير عصر الحريم ، والتهم السقيم لآيات الله . وجب القلة والتسلط . وهنا يصرخ للنفلوطى . (يجب أن يتفس عنها قليلا من ضائقه سجنها ، لنفهم أن لها كياناً مستقلا . وحياة ذاتية وأنها مسئولة عن ذنوبها وآثامها وضعيرها لا أمام الرجل .

يجب أن تعيش فى جو الحرية المسيح ، وتستروح راحته الاربعة ، ليستيقظ ضميرها الذى أحمده السجن والاعتقال من رقدته ، ويولى بنفسه محاسبتها على جميع أعمالها ومراقبة حركاتها وسكناتها . فهو أعظم سلطاناً وأقوى أيدأ من جميع الوازعين الميطرين .

يجب أن نجزمها لتعود احترام نفسها ، ومن احترم نفسه كان أبعد الناس عن التزلات والسقطات) وقد يفهم من ذلك أن النفلوطى يدعو للسقوط ، ويحذ السفور والخلاعة ، ويدفع المرأة دفعا إلى مراعاة العيب والمجون . والحقيقة أنه وسط لا يجب لها القيود الحديدية والاغلال التى تعوق تفوقها ، ولا يرضى لها أن تزدى فى درك الرزيلة وتنحدر إلى قرار الهاوية وتسقط وتضيع .

لا أريد أن تخلع المرأة وتستهر ، وتهيم على وجهها فى مجتمعات الرجال وأنديتهم ، وتمزق حجاب الصيانة والعفة المسبل عنها ، كذلك لا أحب أن تكون جارية مستعبدة للرجل ، يملك عليها كل مادة من مواد حياتها ويأخذ عليها كل طريق حتى طريق النظر والتفكير . (١)

(١) المرجع السابق

ويرجع المغلولي كل ما ينال المرأة إلى الرجل، ويحمله تبعاً لذلك لأن المرأة في نظر المغلولي إما أن تكون مساوية للرجل فيجب عليه أن يعاملها بالمثل وإما أن تكون أقل منه ذكراً وأخلاقاً وثقافة فيجب عليه أن يرفعها إلى منزله وأن يعمل على تهذيبها وترقيتها من غير إساءة ولا استهجان

(إما أن تكون المرأة مساوية للرجل في عقله وإدراكه . أو أقل منه . فان كانت الأولى فليعاشرها معاشرة الصديق للصديق ، والنظير للنظير ، وإن الأخرى فليكن شأنه معها شأن المعلم مع تلميذه ، والوالد مع ولده أي أنه يعلمها ويدربها ، ويأخذ يدها حتى يرفعها إلى مستواه الذي هو فيه ليستطيع أن يجد منها الصديق الوفي والعشير الكريم . والمعلم لا يستعبد تلميذه ، ولا يستذله والأب لا يحقر ابنه ، ولا يزدريه) (١)

ويحمل المغلولي حمله شعواء على جمل المرأة ، ويكاد يعتقد أنه سبب بلائها وأصل شقاؤها ولقد يحاول البعض أن يفر للمرأة الفرية جهلها ولكن المغلولي يرى أن ذلك خداع ومين . إذ المرأة الجاهلة مالة على سواها في التفكير والإدراك ولا تصلح لما تقوم به من رعاية البيت والقيام بأمره ، ولا تحسن معاملة زوجها وأولادها وتجهل مواطن الرشاد ، وأسباب الرقي فتكون — بذلك رزء لا يحتمل وحملات هائلة . وبلاء دونه كل بلاء ، يقول على لسان زوج معذب يعاني ويكابد .

(زوجي أبي منذ سنين من زوجة جاهلة غنية ، لا تفهم من معنى الزواج إلا أن فيه قضاء لبائها ، وترقية عيشها ، وإرضاء نفسها وهو يحسب أنه قد أحسن إلى بسيلة المجد ، وربية النعمة ، ومالكة الدور ،

(١) المرجع السابق

وساكنة القصور أجل . أنها ذات مثال وفير ، وخير كثير ولكن ذهب عنه - غفر الله له - أنه ما كنت أريد أن أكون تاجراً أكسب مالا . بل زوجاً أجداً بجانبى نفساً يؤمنى محضراً ، ويوحى مغيها ومراً صافية قبة أنراى فيها قترى نفسى كما هى . لا تكذبى فى خير وشر . وأتى أريد أن أجدا فى الزوجة التى أتزوجها صديقاً فى المرتبة العليا من مراتب الصداقة ومن لى به فى امرأة تجهل حتى ارضاع طفلها ، وليس نوبها (١)

وإذا كان المنفلوطى يصب جام غضبه على المرأة المتخلفة بمحاولا النهوض من كبوتها والارتفاع بها الى مستوى لائق بالانسان الكريم . فانه لا يقف مادام المرأة المتفرجة ومقرظاً سيلها فى السلوك . لأنه لا يتواءم ويختصنا شرقياً له ماداته وهاليد . وذلك التنافر الى ان المرأة لم تعرف من الحضارة الغربية غير الاصباغ والسلوك الشائى ، ولم تتأثر إلا بالظاهر من القول .

(انها امرأة قد أخذت الأزىة الحديثه من نفسها ، اخذا عظيما فحولتها الى فتاة غريبة فى جميع شئونها وأطوارها والرجل المصرى شرقى بفطرته كاتنا من كان . أما غريته فهى متكلفة متعملة) (٢)

ونتيجة للجهل الذى نشأ والاخلاق الزائفة التى راجت ، والظروف الاجتماعية السيئة والى استعصى حلها انتشر السداد وكثرت البغايا .

والمنفلوطى يعالج تلك الظاهرة علاجاً فيه شئ . من الطرافة فيقترح قيام الرجال متزوجين وغير متزوجين بالاقتران بين لتحسينهن ودفعاً لعائلة الغياع

(١) للرجع السابق

(١) النظرات ج ١ ص ٦٨ .

(ليت الرجال ينفقون جميعاً على أن يستقذوا كل امرأة ساقطة ، ساقها
قعرها وعدمها . أو فقد عائلاً الى البغاء . بل ليتهم ينفقون على الزواج منهم
قبل ان تنقبى حلقات العيش فيسقطن) (١)

ويكرر هذا الاقتراح مراراً لأنه يرى فيه بعض الدواء لهذا الداء .
وطريقاً من طرق التضامن الاجتماعي (لم لا يكون باباً من أبواب الأحياء
أن ينفقوا المحسنون من الرجال النفقات من النساء ، فيتزوجوا منهن ، أو
يترجوهن من أولادهن وأقربائهن) (٢)

ويرجع للمنفلوطي كل اسباب هذه الرزية الى الرجل حاكماً وأخاً ووالداً
ومادامت تلك جريرته ان يحصل تبعثا ويؤء بجرمها

(البغاء للبنى شقاء . ما جناه عليها الا الرجل . فجدير به ان يفرم ما
اتلف . ويصلح ما افسد) (٣) ويلغ تعاطفه مع البعض أقصاه حينما يحمل
المجتمع اعباء جنائيتها ، ويرجع كل أسباب سقوطها اليه وانحدارها له . وهي
معذورة فكم حاولت ان تسلك طريق الرشاد فخطفت ولم تجد امامها غير
طريق البغى . ينبذها المجتمع لأنها ساقطة في زعمه ، وتغنى العمل الشريف
فلا تعز عليه لأنها جاهلة لا تحسن وإنما تمسد ، وتطلب القوت عن طريق
التسول فلا تمتد اليها الأيدي بالرحمة . لأن الرجال يفضنون بالمال في الخمر
ويسخرون به في الضلال .

(١) النظرات ج ١ ص ١٧٩

(٣) نفس المرجع

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤

(تطلب العيش عن طريق الزواج فلا تجد من يزوجهـا . لأن الرجل يسميها ساقطه ، وتطلبه عن طريق العمل فلا تجد ما تحسنه منه . لأن الرجل اهمل شأنها فلا يطلبها من العلم ما تستفيد به على ضائقة العيش وتطلبه عن طريق التسول فلا تجده لأن الرجل يؤثر ان يمنحها القنطار حراما على ان يمنحها الدرهم حلالا . فلا تجد لها يدا من ان تطلبه عن طريق البقاء) (١)
وعلى ذلك فارجل مشغول عن تدبير المرأة ، ويطلب بصحيح ما اخطأه وتوضيها عما فقدت ومادامت تلك جريمة فلا مناص من ان يجد لها حلا ومخرجا .

(ان ابي الرجل ان يزوج المرأة بيا . فليحل بينها وبين البقاء)

وقصارى القول ان ما نحن فيه من مشكلات ومآسى وانما مردها إلى الجهل العام الذى يطبق على المرأة والرجل . فجهل المرأة قد حال بينها وبين الاتصاف ، وحسن المعاشرة وجعلها أشبه شيء باحيوان . ومن يطبق معاشره غير الأليف . ؟ وجهل الرجل جعله يزعم ان ملاك الأمر السيادة والجهروت ففساد وتعم . وساس أمورهم بالمصارعة والغلبة فقطعت عرى اللودة ، واقطعت وشائج الود ولم يبق غير الشقاق والنفاق والمداينة وهيات ان تستمر حياة مقومتها أوحى من بيت العنكبوت .

ولكى تجد مخرجا من ذلك . ونعز على حل لما نحن فيه . (وإذا اردنا ان نعال المرأة حقها من الرجل ، وان تقتصف منه ، فليس سبيلها إلى

(١) نفس المرجع

ذلك للغالبية والمصارعة . بل السبيل إليه ان نعلمها لصرف كيف تستطيقه .
وكيف تحملها على اجلها واعظامها . وان نعلمه ليستطيع ان يكون شجعاناً
كريمياً ، وانساناً رحيماً .)

وإذا كانت معالجة المنفلوطي للرأية فيها الاقتراح والحل والعلاج التي
يقرها . ويبحث الأم . فليست معالجة تلم امين عن ذلك يعيد .

الدين :

(ومن أراد ان يدرس المعتقدات في عصر من العصور فن أقرب وسائل
ان يراجع آراء أديائه فيعرف منها أنماطاً صالحة لتصوير تلك المعتقدات) (١)
ومن هنا كان من الضروري ان يري المنفلوطي على أحوال العقيدة أن يدرس
آراء الأدياء

والمنفلوطي له جولات في الدين وآراء جديدة وبها اشرف يعرضها ، ولكنها
على كل حال آراء تنم عن سباحة فكرية وتعرب عن أدبها اهتمامات دينية وثقافية
والمنفلوطي - باعتباره سليل أسرة لها طابعها وباتتمانه الى الأزهر كان
لا بد له ان يكتب في الدين ولكن لا على اسلوب نمطي ، وطريقة تقليدية
ويربط المنفلوطي بين الدين والوطن برباط عجيب زاعمها انها لا يفتقران ، غير
مؤمن بما يدعيه بعض من في قلوبهم مرض من الذين يفرقون بين الدين والوطن
فينسلقون من دينهم ويدخون الحفاظ على وطنهم وحرصهم على انماضه ولكن
المنفلوطي يصدح بما يرى في صراحة وصدق .

(١) عقائد المفكرين من ١٠٦ للعقاد طبعة مكتبة غريب القاهرة .

(من لا خير له في دينه لا خير له في وطنه) (١)

وعندما يعصر قية في عصر يصدقون عن دينهم ، لأنه قد لا يتناسب الحياة
الحاضرة ولا يشاكل المجتمع المتطور ، وليس لديه ما يعالج ما يقف الشباب
من سدود وقيد ، فيدفع المتخبطي تلك التهم ، ويغند هذه المزاعم

(ان الدين الاسلامي ماخذ صفة ولا كيرة الا احصاها ولا ترك
الانسان يعيش في ميدان هذه الحياة خطوة من مهده الى لحيه الا مد يده اليه
وأثارة مواقع أقدامه وارشده الى سواء السبيل) (٢)

ولم يخذ المتخبطي من ذلك المتطقي سبيلا الى البهرة ومدا الى الرقصة
ولكنه كان يصدر عن عقيدة راسخة وإيمان جم ونظر في العواقب والدوافع .
ولقد كان جندي به ان يفعل ما صنع ما دام علماء الدين غدوا على حد
تعبير احبدا محرم

أرى علماء الدين لا يحفظونه ولا يعرفون اليوم رتبة العليسا
م اتخذوا ما ادركو من علومه سبيلا الى ما يشتهون من الدنيا
فضاعوا وضاع الدين ما بين أمة هموا شرعوا فيها الضلالة والفتيا (٣)
ولذلك فمنع تعيش في جاهلية ربما كانت أشد ضراوة من الجاهلية الأولى
(انا نعيش في جاهلية أطم وأفسد من الجاهلية الأولى) (٤)

(٢) انظر ج ١ ص ١٥٨

(١) انظر ج ١ ص ١٩٨

(٤) انظر ج ٢ ص ١٢٨

(٣) ديوان احمد محرم ج ٢ ص ٨٠

ويعبر بكل من أعم النظر في سبيل معيشتنا، أن يدرك مدى التفاوت بين جاهليتنا والجاهلية الأولى ويوحز المنطوي ذلك في قوله
 (كانت الجاهلية الأولى تعد الأوثان لتقربها إلى الله وجاهليتنا تعد
 الاحجار والاشجار والاحياء والاموات والابواب والسكون والقواعد
 والاساطين تبركا أو تقربا بالعظام والركن فيها مختلفان لفظا متفقان معنى ومن
 ظن ذلك فقد خدع نفسه ، كانت الجاهلية الأولى متفرقة قبائل وشعوبا
 وجاهليتنا متفرقة منازل ويوما بل أحدا وأفرادا فلا تراحم ولا تواصل ،
 ولا تمارف ولا تعاطف حتى بين الاخ وأخيه ، والأب وبنه كانت جاهليتهم
 تنسك السماء في طلب الأوثان وجاهليتنا تنسكها في سبيل السرقة وقضاء
 الشهوات) (١)

والمنطوي بذلك انرا كالا مصرية فيه أن واقع المسلمين لا يذهب للاعتلال فيه
 ولا جريته . ومن القين أن نطلق الأحكام جزافا بلا تمييز ونفسدوا
 التعليلات من غير فهم أن يدرك . فهو يقول (لا أنكر ما لحق بالمسلمين في حياته
 القرون الأخيرة من الضعف والفتور ، وما أصاب جامعهم من الوهن
 والانحلال ولكن ليس السبب في ذلك الاسلام) (٢)

ويخرج المنطوي جانبا من الإصلاح إلى علماء الدين الذين بدلوا نعمة
 الله كفرا واحلوا دينهم دهر الموار ولم يحصوا الأمانة في صدق وإيمان

(١) النظر في ص ١٧٠

(٢) المرجع السابق

المعرفوا بها وشوها جملها . (ليت التقهاء الذين يتفقون أعمارهم في الحيض والاستحاضة والمذي والودي والحديث الأكبر والحديث الأصغر وليت الكلامين الذين يحاولون أن يراوغوا الله في مشيئته وربما يجذبه قدره ويغالبه على أمره ونهيه ويذاخموه في لوحه وقلبه ، ويقرحون للأقبي في عينية الصفات وغيرها والمجوهر والعرض والحديث والتقدم والتأخر والتسلسل يعرفون من سر الدين وحكمته والقرص الذي ظم له ما يعرف هؤلاء البله الاغرار الذين لا يعرفون معنى الجنة والنار ، ولا يميزون بين الدين والتين (١) »

وهال الرجل ان يتعذر المسلمون الى ذلك الدرك ويصلوا الى تلك الحالة فلم يقم فيهم طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وانما استباحوا الحرمات ومحرأوا على اللوحات .

(لقد هان على المسلمين أمر أنفسهم حتى لو وجدوا بينهم من يرى التقية في عمله أو الاحتشام في أمره سموه جبانا جندا أو مطلقا باربا ، كل ذلك على مرأى ومسمع من الحكومة الإسلامية والمآخذ الدينية والتقضاءين الشرعي والنظامي) (٢) »

ويمكن ذلك الداء الويل في جهل العلماء واستكانتهم ورضوخهم لتزييف الخاطو وتسمية المتحذلق وخشيتهم للباطل ورهبتهم مصاولة الجهل ومنازلة الأعداء للذين يحقنون الدين ويكيدون له ،

(١) النظرات ج ١ ص ٦٤

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٢٩

(لا يستطيع الباطل أن يصدح الحق في ميدان ، لأن الحق وجوده للباطل
عدم إنما يصره جملة العلماء بقوة وبأسهم من قلبه واغترافهم للنساء به
والدعاء اليه)

وبرى المنفلوطي أنه يلزم على المسلمين أن يميزوا الخبيث من الطيب
ويسمروا الأشياء بأسمائها ويحبسوا آثار من أرادوا أن يلبسوا عليهم دينهم
إذ أكثر أدواء المسلمين آتية - لا ريب - من أعتائهم الذين ارتدوا عن
الاسلام ليكيدوا له واقتربوا من المسلمين ليؤتسوم ويقضوا عليهم .
ويقضوا عليهم . يخاطب الورود كرومر مفتدا زعمه في ارجاع حال المسلمين
النس إلى دينهم ، قائلا في حرية .

(بل المسيحية التي شرت عنواها اليهم على أيدي قوم من المسيحيين أو
أشباه المسيحيين لبسوا لباس الاسلام وتزيروا به ودخلوا بلادهم وتمكنوا
من قوس قومه الضعفاء وأمرائه الجهلاء فأمدوم بشيء من السطوة والقوة .
تمكنوا بها من نشر مذاهبهم السقيمة ، وعقائدهم المخرافية بين المسلمين . حتى
أفسدوا عليهم مذاهبهم وعقائدهم . وأوقعوا التنشئة بينهم وحلوا بينهم وبين
الاستمداد من روح الاسلام وقوته ، فكان من أمرهم بعد ذلك ما كان (١)
ويمعن في ذلك المسلك فيرجح أكثر ما يراه من زيف ودجل . إلى التأثير
الأجنبي والزحف العدائي ، والاسلام يراه من كل ما يقع فيه معتقده .
(كل ما تراه اليوم بين المسلمين من الخلط في عقيدة القضاء والقدر .

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٥

وعقيدة التوكل ، وتشيد الأضرحة ، وتجميع القبور وتزيينها ، والتراعى على أعتابها ، والأهتمام بصور العبادات وأشكالها دون حكمها وأمرارها .

وأستاد التفسح والضرر الى رؤساء الدين . وأمثال ذلك . أثر من آثار المسيحية الأولى . وليس من الاسلام فى شئ . (١)

والتغلوطى فى معالجه للدين لا يفصل - كما رأينا - بين الدين بأعتباره نظرية وعقيدة وبين المتدين الذى يدين بذلك . وإذا كان لا بد أن يخلص المسلم من كل ما يشينه من غرائب العادات ، وهجين الخلال ، فأولى بطباء الدين ثم أولى بهم أن يحرروا مما رأينا عليهم من جهل وغواية ، وأنقاذ أحكام الدين حيلا وأقنن والاعيب حتى وجدنا لقينا من الذين يدخلون فى التفتان وتصلبهم الهامة يولعون بما يسمى بالحيل الشرعية .

وكان جذيرا بهم أن يوهنوا من قدر ذلك الصنيع ويضربوا على يد من يتناوله . فإذا هم يفتنون فى أسقاط واجب ، وأهدار متدوب والمخرج من مطلب أو التزام . . ويصب عليهم التغلوطى سوط عذاب ، ويضخيل نفسه فى الدار الآخرة فيشاهد هذا المنظر القكامى .

(رأينا كوكبة من ملائكة العذاب تحيط برجل يساق الى النار ، ورأينا فى يد كل واحد منهم مقرعة من الحديد يقرع بها رأسه . وهو يصرخ ويقول (أهلكنى يا أبا حنيفة) فسألت صاحبه : ملائكة الرجل ؟ فقال :

أنه كان فى حياته يتخذ فى أعماله ما يسمونه الحيسل الشرعية . فكان يهب

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠

ماله لأخذ أولاده على نية أسترداده قبل أن يحول عليه الحول ليخلص من
فريضة الزكاة ويطلق زوجته ثلاثاً ثم يأتي بمحل فيعود لمعاشرتها ، وكان
يرأى باسم الرهن .

وكان إذا حلف لا يدخل بيتاً دخله من ناقذته ، أو لا يأكل رغيفاً أكله
اللقمة منه . فقد نبه أنه كان يعتمد على الأحكام الشرعية فيتزع منها
حكمها وأسرارها . ثم يرفضها إلى الله فتشورا جوفاء يخدع بها ويقتله فيها
كما يفعل مع الأطفال والله . مستنفاً على تهلل أبي حنيفة أو غيره من كبار
الائمة . وأبو حنيفة أرفع قدراً وأهدى بصيرة من أن يخفذه الله هزواً
وسخرية ، وأن يكون ممن يهدفون الدين باسم الدين (١)

ويوسع للتغلوطى من حملته لتشمل مشايخ الطرق من الذين يعيشون
في الأرض فساداً ويخدعون العامة وينسون للإسلام ما ليس منه ، ويأتون
يبدع من العمل ومنكر من القول وزور .

(جلست في مجلس يصعد فيه شيخ من تجار العقول الضعيفة المعروفين
بمشايخ الطرق . وقد حلف به جماعة من عبده ، وسدوه هيكلاً فسمعتهم
يشرح لهم معنى التوكل شرعاً غريباً يذهب منه إلى أنه القعود عن العمل ،
والقاء جبل هذا الوجرد على غاربه ، والأعراض عن كل مسمى إلى أبة غاية
وتمد في هذيانه على آيت يؤولها كما يشاء . (أحاديث لا يستند في صحتها
على مستند . سوى أنه سمعها من شيخه (٢)

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٦

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٧

. ويزوق المنفلوطى أن يصف تلك الفئة بجار الدين . وهو مصطلح جديد وجريء . لأنهم زيفوا حقائقه وشوهوا تعاليمه . وداهتوا ومانوا . وكسبوا من وراء ذلك عرضاً زائلاً ، وتجاراً لن تروج وإنما ستبور وتركد ينقل لنا المنفلوطى صورة طريفة لرجل فى الدار الآخرة حوسب حساباً يسيراً .

(قلت : أنت من السعداء . فهل تستطيع أن تشفع لى ؟ أو تطلب لى شفاعاً من ولى من الأولياء أو نبى من الأنبياء ؟ قال : لا تطلب المحال ولا تصدق كل ما يقال فقد كنا مخدوعين فى الدار الأولى بلك الآمال الكاذبة التى كان يبيعها لنا تجار الدين بمن غال ولا يحقون الله فى غشائهم . وخداعنا)
ويعاود المنفلوطى أن يكشف زيف هؤلاء ، ويظهر الابعيمهم ويبين ان ظاهرم خداع وتفاق . وباطنهم جهل وشره . وان تلك الادوات من لحية ومسبحة ومرقعة ولعاب يسيل وانتساب الى ولى . انما هى أحاييل يصنعونها فى سبيل من يريدون اضلاله ، وشرك يتعبدونه لمن يتخوف كيدهم واستغلاله .

يحكى لنا مشهداً راءى فى الدار الآخرة عن الاشقياء . (رأينا شقياً آخر ذا لحية طويلة كنه قد أحاط به ملاكان وشدا عتقه بسبحة طويلة ذات حبات كبيرة وقد أخذ كل منها ، وهريهمهم بكلمات مبهمه . فيقرعه أحدهما على رأسه ويقول له : (أمكر وأنت فى الحديد) ١٦

(١) المرجع السابق .

قد فوت منه . وأنصت النظر في وجهه ففرقه . فتراجعت ذعراً وخوفاً وصحت : أليكون هذا من اشقياء الآخرة وقد كان بالأمس من أقطاب الأولى ؟ فقال لي صاحبي : أن هذا الذي كنت تحسبه في اولاه من الاقطاب كان أكبر تاجر من تجار الدين . وما هذه الحجة والسبحة والمهممة . والندمة . الا حبال كان يتعصبها لاصطياد عقول الناس وأموالهم . ولكن الناس لا يعلمون (١)

ولم يقتصر على سلوك المتصوفة الشائن وإنما شن حملة على طريقهم في العبادة ، وسيلهم في التقرب والزلزلى اذ يأتون من الأعمال البهلوانية ما يضحك ومن الحركات الجسدية ما يستخرج الكمد ويحدثون من الأصوات المنكرة ما لا يطبق بأدنى فضلاً عن رجل دين في موقف خشوع وقرب (ولذلك فالمشلولى ينفر من مجالس المتصوفة حيث الألعاب المجازية ، والحركات البهلوانية والسرقات بأسم الدين ، وانتهاك الحرمات بعنوان البركات) (٢)

ويحاول المشلولى أن يعيد للإسلام بهاءه ، ولالدين قهاده ، وللعقيدة جلالها وهبتها . ويحمر المجتمع الاسلامى من تلك الترهات التى عكف عليها وهذه الخزعبلات التى يحتقها زاعماً أم ما تقرية الى الله زلفى ، غير مدرك لخطورة ما يأتى ، ولا مقدر مغبة ما يصنع . ومن أراد أن يقف على حقيقة القوم فيه فليرجع الى السلف الصالح . يستقريه ما عملوا ويعرف ما كانوا . حتى يتبين أى التريقين خيراً مقاماً ، وأكثر رشداً . ويجأر المشلولى (هل تعلمون ان السلف الصالح كانوا يجمعون قبرا ؟ أو يتوسلون بنخرج

(٢) النظر ج ٣ ص ١٣١

(١) النظر ج ١ ص ١٢٧

وهل تعلمون ان واحدا منهم وقف عند قبر أحد من أصحابه وأهل بيته
يسأله قضاء حاجة أو تفريج م. ١٠

وهل تعلمون ان الرطمي والسوقى والجيلاني والبدوي أكرم عند الله .
وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصالحين والتابعين (١٥) ١١٩

واذا كان النبي عليه السلام قد مكث في مكة يدعو الى العقيدة ويصحيح
اليقين ، وينظف القلب فليس بدعا أن يحارب المغلوطين تلك المفترقات ويحمل
عليها في جسارة وعنف .

إنه يوقن بأن مصر سوف تظل مؤمنة بدينها مما اشتكت ضراوة الاحقاد .
واستعمل أمر البغاة . وربما بدا في ظاهر الأمر تغيير في الصفات المصرية .
والعلاقات الاجتماعية التي قد تتجافى عن تعاليم الاسلام وروحه . وليس ذلك
بمختص في تقدير المصريين لديهم . ولا فخر عند المبادلة والتقدم . وما ذلك الا
لأن (الأمة المصرية أمة مسلمة شرقية ، فيجب أن يبق لها دينها ، وشرقيتها
ما جرى نيلها في أرضها ، وذبحت أهرامها في مماتها . حتى تبدل الأرض غير
الأرض والسموات) (٢٥)

وليس من قبيل المصادفة أن يفضى للمغلوطين لدينه وأن يشن تلك الحملة
على علماء الدين ورجال التصوف في ضراوة وقسوة . لأنه رجل يفضى
إذا اختم كثر جرمات الإنسانية ، واقتات مفاهيمها ومقاصدها .

(١) النظرات ج ٧ ص ١٢٧

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٧

(أنا لا أغضب لشيء إلا للإنسانية أن يحترق ذمامها، ويتنقض عهدا) (١)
ورجل تلك طيعته، وأخلاقه تأخذ هذا النمط وذلك الاتجاه لا ريب في
أنه يغضب لذنبه، ويحتاج لتعصمه.

وكم أدنى تعاون العلماء وجهلهم إلى ترويج أضرابيل ومفردات ليست
من الدين في شيء. بل غذا العلماء يأتون من الأمور للتركاة ما يرفضه الدين،
وتأباه العقيدة وتفرمة الطابع السليمة لا للسدخولة والقطر النقية
للاشوية.

ولوسلت العقيدة، (لما وجدت في العلماء من يجمع بين اعتقاد
الوحدانية وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات، مزاراتهم. وفي
مقابرهم.

ولا وجدت بين الذين يحفظون قوله تعالى «قل لا أملك لنفسي نقما ولا
ضر ومن يستد النفع والضر إلى كل من سال لعابه، وتمزق إهابه وجدت في
الناس كثيرا من فقهاء يكثر من رجم الانحراف. وضم الرذائل. ثم لا تجد
فرقا بينهم وبين العامة في ارتكاب للتركات والنور من الصالحات» (١)

وأنا كان رواية الحديث قديما لا يعرفون معنى ما يعملون فلما سئل أحدكم
عن معنى ما يروى قال عسفرا (أنا أنا زاملة) فقد أصبح علماء في تلك
الفترة يعرفون الكلام عن مواضعه. بجهلا أرحمنا. ومن ذلك أن الإمام الشيخ
محمد عبده كتب مقالا جاء فيه (الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على

(١) النظرات ج ٣ ص ٢١٧.

محمد وأبناءه المسلمين الاولين والآخرين) فوشى به أحد المفرضين الى الشيخ (عيش) وفسر كلمة (أساطين) بغير معناها . فقال انها جمع اسطوانة . وان هذا كقرب بالأنباء فنغضب الشيخ عيش على محمد عبده وقال : اعطوني سكيناً لندبح هذا الكفر فتدخل بعضهم في الشفاعة له . ففعا عنه بعد خلق رأسه (١٥)

وتلك ناهية دعاء ، وخطب جلال ، فالسليون في ساحة الى تصحيح العقيدة واعادة الوجه المضى للشرعية من غير زيف ولا دين .

(واقه ان يسترح المسلمون سالف عجم ، ولن يبلغ ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة الا اذا استعادوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد) (٢٢) . ويجب أن يتصدى علماء المسلمين لتلك المهمة . ولكن مما يؤلم النفس خنوع العلماء ، وتهاون العارفين ، وانخراطهم في سبيل النواية والضلال . (بمن استعجز واستنقث ؟ وبمن استنجد ؟ ومن أدعوه لهذه المهمة الفادحة ؟ أدعوا علماء مصر . وم الذين قتلوا جمال الدين الأفضاني فيلسوف الاسلام ليتقربوا الى المهدي العبادي شيخ الطريقة الرطمية (٣٠)

وقد ينتظر المرء العامة ويخلق لهم المعاذير ، أما علماء الدين فلا عذر ولا غفران ، وكيف يجد لهم الانسان متلوحة وأمامهم من الامكانات والظروف ما أمامهم ؟ ولديهم من القدرات ما لديهم ؟

-
- (١) من مذكرات فتح الله يركلت التي كان عليها عليه سعد زغلول .
 وراجع أيضا تطور الصحافة (٢) النظرات ج ٢ ص ٦٠
 (٣) يوم يكس فيه ضريح الإمام الشافعي ويترك الناس الناس .

ويضيق المظلومي ذرعاً بثلة من العلماء . ويجار فيهم لعلمهم فيفوقون من الفضل واليعودون الى رشدكم . و يلقن الامة ورساءها عذرتنا العامة في أشراكها وفساد عقائدنا .

لما عنركم أنكم ؟ وأنتم تعلمون كتاب الله تقرأون صفاته . ونوعته ؟ (١) وحرى بهم وقد تصدوا للأفناء والهداية أن يعرفوا سنن من تقدمهم وشرائع من سبقهم من السلف الصالح ، والتابعين باحسان ، ولو أطلعوا على تاريخهم لادركوا أن دينهم غير الدين . وعقيدتهم تباين العقيدة ، ونحلهم تتباين مع نحل السلف وطريقة التابعين . . . ويخاطب المظلومي العلماء قائلا :

« هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجمعون قبرا . أو يتوسلون بضرير وهل تعلمون أن واحد منهم وقف عند قبر النبي ؟ والله ما جهلتم شيء من هذا ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة . فهايكم الله على ذلك بسلب نعمته واتقضاض أمركم وسلط عليكم أعداءكم يسايون أوطانكم ، ويستعبدون رقابكم ويخربون دياركم والله شديد العقاب » (٢) ولا ريب أن قد المظلومي لعلماء المسلمين ولا سيما مشايخ الطرق امتداد لرأي الشيخ محمد عبده فقد كتب الامام مرارا عن تلك الاباطيل ، وحاربها في الواقع سنة ١٨٩٠ م . وكتب عن (بطلان الدنوسه) وعن ابطال البدع (٣) وقامه القديم في مجلة الاستاذ عدد ابريل سنة ١٨٩٣ م وكذلك هاجم الكواكبي

(١) - المرجع السابق

(٢) - النظرات ج ٢ ص ٦٢

(٣) - تريخ الاستاذ الامام ج ٢ ص ١٣٣

وقال : « إن الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء
 للبدلين وغلاة المتصوفين » (١) ولم يقتصر المنفلوطي للعلماء على ما قلنا .
 وإنما بلغ من جرأة الرجل أن قد رجّل كثيرين في عصره . محمد عبده ،
 وقلم أمين . في محاولة لطيفة منها جرت في الدار الآخرة كما تصورهما
 المنفلوطي . فلقد وقع نظره عليها فأصاخ السمع فلما بالشيخ يقول لقاسم
 « ليتك يا قلم أخنت برأيي ، وأحلت نصحي لك محلا من نفسك فقد كنت
 أمّاك أن تهاجي المرأة المصرية برأيك في الحجاب قيل أن تأخذ له عهده
 من الأدب والدين . فبني كتابك في وجهها من ماء الحياء ، فأجاب قلم أمين :
 اني أشرت عليها أن تعلم قبل أن تسفر وأن ترفع برقعها قبل أن تنسج لها
 برقعاً من الحياء . فقال الشيخ : ولكن فأتك ما كنت تتبأت به من أنها
 جاهلة لا تفهم هذه التفاصيل ؟ وضعيفة لا تعي هذا الاستثناء ، فكنت كن
 أعطي الجاهل سيفاً ليقتل به غيره فيقتل نفسه .

فقال قلم أمين : أتأذن لي يا مولاي أن أقول لك : أنك قد وقعت في
 مثل ما وقعت فيه من الخطأ . وأنتك نصحتني بما لم تتصع به ، أنا أردت أن
 أضع المرأة فأفسدتها كما تقول . وانت تريد أن تعي الإسلام فقط . أنك
 فأجأت دعوة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة . وللماقص
 العالية الشريفة ، فأرادوا غير ما أردت . وفهموا غير ما فهمت . فأصبحوا
 ملحدين ، أولت لهم بعض آيات الكتاب . فاتخذوا التأسيس قاعدة .

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٨

حتى أولوا الملك . والشيطان والجنة والنار (٧)

وعلى ذلك فالتغلوطى ادب اسلامى تبسدى فى كتاباته العاطفة الدينية ،
ويظهر فى اعماله الحرص على الدين والتعصب له ، حتى استحق ان يقبل
عنه سليم بن كيسان فى مذكراته . « هو فى المسلمين توفيق حنين فى
الاقبال »

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٨

موضوعات أخرى

يحتل أدب المنفلوطي بمعالجة أنماط متعددة في الحياة والفكر. وسبق أن تحدثنا عن بعض تلك الدراسات ولنتوقف لحظة لنجمل ما تبقى من موضوعات إشاراً للإيجاز ولطبعاً في اليسر وجأ في الإجمال. والذي يقرأ أدب الرجل يهوله ما يراه فيه من إصلاح وتقدم وتوجيه وبناء.

ولقد أتى المنفلوطي في فترة انهارت فيها القيم وتدهورت الأخلاق العامة وتفتكراً كثرة الناس للتأفف من الخلل والعماد. ومن أبرز المعاول التي شرعت تهدم في الكيان المصري وتقوض بنيانه الأعمال المسرحية الهزلية التي شاعت آنذاك. وسماها المنفلوطي التمثيل المتعطل.

يخاطب المنفلوطي وجدان الأمة في صورة التلميح فيها. مبتدأً بأولئك المثمنين الذين يصنفون بأخلاق الوطن ويزلزلونه من القواعد.

(. أقدرون أيها الأصطف من م أولئك الذين يسمون أنفسهم مثمنين . ويسمون ما يهذون به في مسارحهم روايت . ١ والذين يدعونكم مشر للتلمين الزاقين إلى حضور مجامعهم باسم الآداب والفنون ٢ . لو أن جماعة من الزاميين وآخرين من الطبايع وآخرين من الفرادين وجماعة غيرهم من الرمالين والملاحين والبهوانية والحواة والرقة وبقية السائلين المستجدين الذين يمدون أيديهم المنازلي كل يوم ضاجين صارخين ، فلانلق لهم بالاء ، ولا تسمهم أذناً . انتقوا في ما بينهم على أن يكونوا جماعة واحدة في مكان واحد لكانوا م بينهم جوق كشكش والبريرى وشر فططح .) (١)

(١) النظرات ج ٣ ص ٣٧ .

ويفرق من أعمال نجيب الريحاني ويرى أنها مجلبة للشروء ومثابة للقضائح
ومتبدي لكل ما يتخذ الحياء ويقتل الهمة .

(كان الشر مفرقاً في أنحاء البلد فجعله كشكش في مكان واحد) (١) .
ونحن نحمد للثغلوطنى نقوره وضيقه لأن المسرح المصرى آنذاك كان أداة
تهريج وتسليه مثل مسارحنا الفكاهية الآن . ولا ريب أن الثغلوطنى ومن على
شاكلته من الذين يدافعون عن الأخلاق ويحاولون إصلاح المجتمع سوف
يموتون أسى وحسرة حين يسمعون قول أحد الممثلين آنذاك مغازلاً امرأة
على المسرح ومتنبئاً :

أيج هدومى عشان بوسه من خنك القشطه يا ملين
يا حوة زى البسوسه يا مهليه تمام وأحسن

ويحمل الثغلوطنى مضار التمثيل المتعط في نظره في :

(١) يلبسون مفاسدهم وشروءهم ثوب التفضيلة والجد .

(٢) يمثلون الفلاح أقيح تمثيل ولا يجوز كون مفسدة من المفاسد ولا رذيلة
من الرذائل إلا ويلصقونها به .

(٣) ليس للنساء في مسارحهم عمل سوى إغراء الشبان وإغوائهم .

(٤) يهدمون الآفة العرية هدماً بهذه العامية الساقطة التى يكتبون بها
رواياتهم (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٣٦

(٢) النظرات ج ٣ ص ٣٦

من أجل ذلك يحرض المنفلوطي الجيل المظم على مقاطعة تلك الزواجات حرصاً على مستقبل الأمة ودفعاً عن الأخلاق التي يجبهض .

« إني لا أدعوك إلى الامتناع عن الإلمام بهذه المقائذ العامة من أجل أنفسكم فقط ، بل من أجل أخوتكم وأخوانكم اليوم ، ومن أجل أبنائكم وأحفادكم غداً .

ومن أجل مستقبل الأمة المصرية كلها الذي أعتقد أنه أمانة في أيديكم ، وودعة موكولة إلى كرم نفوسكم وشرف ضمائركم » (١) .

ولا يقنع المنفلوطي بذلك . وإنما يحث الناس على هدم تلك المسارح . والقضاء عليها ، وأن ذلك عمل بطول يجب أن يفخر به المواطن ، ويغتر به المصري لأنه قد حال بين الأمة وبين ما يكاد له من شرور ويدبر ضده من مؤامرات لا ترمى إلا إلى ضياع الدولة ولا ترضى بنير الإنهار بديلاً

اهدعوا هذه الأماكن هدماً بالإعراض عنها واحتقارها ثم قفوا بعد على أطلالها البالية هاتين صائحين صياح الظافر المستصر قائلين : ها قد نجت الأمة من خطر عظيم ، وها نحن قد قمنا جميعاً بالواجب علينا لوطننا » (٢) .

ويشعر المنفلوطي أن ذلك النمو من التمثيل لا يجواءم وطبيعتنا ولا يفيق ومبادئنا . وإذا كانت الدول الغربية تصطنع هذا الأسلوب فلأنها بلغت شأواً

(١) المرجع السابق ص ٧٢

(٢) النظرات ج ٤ ص ٣٦

من الحضارة ، وثالث حفظا عن التقدم . أما الأمة المصرية ذات الكيان المبهين
والقدرة المحدودة ، والإمكانات المسخرة لصالح المحتل ، فهي بحاجة قصوى
إلى ما يسد خطاها ، ويقوى من أخلاقها ويعجب إليها الفضائل ومكارم
الشيم ، ومحامد الخصال ، وحتى تستطيع الأمة التصدى للغاصب والدفاع عن
حريتها ، والوقوف أمام الغزوات القارية التي لا تبتلى ولا تزر .

« نحن في حالة نحتاج فيها إلى أن يعلم الناس عنا في كل مكان أننا أمة
أخلاق وآداب وأن في نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا إلى
مصاف الأمم العظيمة » (١) .

الإحسان :

ولكى تم الصورة عن أدب الرجل لابد من التصرّح على ما يظنه الناس
عملا من أعمال الخير أو سيلا من سبل المنفعة وما هو بذلك .

وانما أوقع الناس في ذلك الخلط تصوراتهم الخاطئة وأفكارهم المنحرفة
ولا سبيل إلى إصلاح ما فسد إلا بجذب تصوراتهم والارتفاع بمستوى
أفكارهم .

« من شاء أن يهذب أخلاق الناس ، ويقوم معوجها ، فليهذب تصوراتهم
وليقيم أفهامهم » (١) .

ولقد أدى التصور الفاسد وانهم المخل إلى تحريف صورة العمل الجميل
وتشويه جماله .

ولا ريب أن الإحسان عمل خير ، ومشروع جليل ، ولكنه - نتيجة
لتصورات الناس الفاسدة - في مصر خلا من كل حسنة ، ونزهة عن كل محمّدة .

« الإحسان في مصر قوضى لا نظام له . يناله من لا يستحقه ويحرم منه
مستحقه » (٢) .

ولا يقتصر عمل المنفلوطي على إطلاق الأحكام . وترديد المقولات .
ولكنه يعرض نماذج للإحسان النبوي الذي تفتى في مصر ، حتى فقد مفزاه
وجانب مرماه .

(١) النظرات ج ١ ص ١٥٥

(٢) النظرات ج ١ ص ١٨٠

« الإحسان في مصر أن يدخل صاحب المال ضريحاً من أضرحة
 المقبورين ، فيضع في صندوق النذور قبضة من النقضة أو الذهب ربما يقتاتوها
 من هو أرغد منه عيشاً ، وأنعم بالآ ، أو يهدي ما يسميه نذراً من نعم وشاء
 إلى دفين في قبره قد شغلته عن أكل اللحوم والنسك بها ذلك الدود الذي يأكل
 لحمه . والسوس الذي ينخر في عظمه . وما أهدى شاته ولا بقرته - لو علم -
 إلا إلى وزارة الأوقاف . وكان خيراً له أن يهديها إلى جره الفقير الذي يبيت
 ليله طاوياً » (١) .

ومن هنا - من هذا التصور الوام - لن تنفع كل وسائل الإحسان
 والإصلاح التي يصنعها السادة ويصطنعها القادة . لأنها أتت من غير بابها
 الصحيح وولجت من غير سبيلها القويم . وعبثاً يحاول الرؤساء إصلاح
 الأنظمة أو الإحسان إلى الأمة . ما دام القائم على الأمر غير قنن بالصفة ،
 ولا أهل لما تصدى له . ولن تنفع الأمة إلا بقائد ينزل نفسه منزلة الوالد
 المشفق ويحمل منه محل الرأس المدبر في إحسان ، ومن غير من ولا أذى .

« اما ينفع الأمة ويضطلع بخطوبها ويحمل أعباءها على مائه الرجل
 الذي يشعر من نفسه بأنه ينزل منها منزلة رئيس الأسرة من أسرته التي يعلم
 أنه مأخوذ بالقيام عليها والسعى لها . فيقوم لها بكل ما تريد . ويسعى لها سعي
 الكادح الجهد . ويروح صغيرها ويحنو على كبيرها . ويحتمل مفارمها ، ويستغفر
 عث أطفالها . وجهل شيوخها . ويرى لها في كل شأن من شئونها خيراً
 مما ترى لنفسها . أرضاها ذلك أم أغضبها !

(١) النظر ج ١ ص ١٨١

... من حيث لا يمين عليها بذلك ، ولا يطلب عندهما جزاء ولا أجراً .
بل من حيث لا تعلم ما يلاقى به وبين نفسه من آلام الحياة . وما يخالج من
شوائمها في سبلها » (١) .

ومن يصنع الإحسان في مصر لا يؤديه إغناء مرضاة الله . ولا إحساساً
بأهميته . وإنما ليحظى بنظرة حاكم وإتساعه مهيمن .

« وهل يؤتى الأغنياء في هذا البلد إلا من طريق المجد الباطل والسمعة
الكاذبة .

وهل يكب العطاء على وجوههم ويلصق بالرخام معالمهم إلا بالشفق
بنظرة الأمير ولقمة الوزير وزورة المدير » (٢) .

وحق الحكومة حيناً تنفق أموالها لا تتبع سبيل الحسين وإنما تسلك
سبيل البذخ الذين لا يعرفون وجه الصواب ولا يهتمون سبيلاً .

ومال الحكومة ملك الشعب ، وللقروض أن تنفقه فيما يضع الأمة في
تربتها وتهذيبها وتقدمها ورقياً » .

« ذلك ما يجب أن تنفق عليه الحكومة من خزائنها ولكنها تغني بماله
في حاجة إليه لبناء المآثر وتشيد القصور وترقية كبار الموظفين خصوصاً
الأجانب منهم وإقرار عيون السياح الأوربيين » (٣) .

ويقدم النفلاطي مشروع يراه نموذجاً للإحسان والعمل للعيد للثمر .

(١) النظر ج ٣ ص ٣٢ .

(٢) النظرات ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٧ .

وزأى أن تقوم جماعة من مراء الأمة ووجوهها وأصحاب الرأى فيها بأليف
يجتمع فى القاهرة ، يسمى مجتمع الإحسان ، ويكون له فى كل مدينة من
مدائن الأقاليم فرع تابع له ، أما أعماله ففى :

١ - استخدام فريق من مراء الكتاب وقصصاء الخطباء يقومون بتعليم
أفراد الأمة بكل واسطة من وسائل النشر وبكل وسيلة من وسائل النشر .
بعض الإحسان وما هو الغرض منه ، وما هى أفضل وجوهه ، وأى أنواعه
أجمع لخيرى الدنيا والآخرة .

٢ - بذل الجهد فى حمل الناس على اعتبار مجتمع الإحسان هذا بيت مال
لهم أو وكالة عنهم ، بحولى الصناعات منهم ، وتوزيعها على مستحقيها .
وحسبها أن تأخذ من كل فرد فى كل عام مجموع ما يحسن به مائة فى ذلك العام .
فلا يكون بعد ذلك مأخوذاً بشئ من الإحسان أمام ربه وأمام أمته أكثر
 مما قدمه لهذا المجتمع .

٣ - إتفاق ما يجمع من المال على تربية اليتمى الذين لا كاسب لهم ،
والقيام بأود العاجزين عن الكسب وتنفذ شؤون الذين نكسبهم الدهر وتكثر
ظلم ضد العزة والنعمة ، وعناية ما هو مهم أن تراق على ترواب الأعقاب ،
والإتفاق على تعليم من يحسن فيهم الذكاء والفضيلة ويرجى أن تلتصق بهم
الأمة فى مستقبلها من أبناء الفقراء .

٤ - إلى أعمال هذه الأعمال الخيرية الشريفة التى لا يصحق الإحسان بدونها ،
ولا يتصرف منها إلا إليها .

أنا أعتقد اعتقاداً لا ريب فيه أن من يخط الخطوة الأولى فى سبيل هذا

العمل الجليل ، ومن يضع الحجر الأول في بناء مجتمع الإحسان ، هو أفضل
عامل في الوجود ، وأشرف إنسان (١) .

وبعد هذه السياحة للوضوعية في أدب الرجل الذي قيل عنه : ظلماً :
أنه لم يعالج سوى القصة والكتابة الإنشائية التي تهتم بالصياغة فقط ، نذكر
أن المتفوطى أديب عالٍ مشكلات وعرض قضايا ، وسام في رفعة وطنه ،
وعمل عمل الصالحين والرواد ، ولم يركن إلى برج عاجي يراقب عبرات
الأمور في سلبية ووداعة .

ورجل هذه سبيله وتلك أخلاقه وطباعه جدير به أن يؤثر في أدب قومه
ويخلق اتجاهات فكرياً ، وينشئ نزعة ومحة . وخير ما يعرب عن فكرة الرجل
ويشف عن مزاجه قوله :

« إن في أيدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الأمة ودعة يجيب علينا
تمهدها والاحتفاظ بها ، والحلب عليها حتى تؤديها إلى أخلاقنا من بعدنا » (٢)
وفي هذا بلاغ لمن أراد أن يذكر ، أو أراد الوقوف على أدب المتفوطى .

(١) النظرات ج ١ ص ١٨٦

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٠

الباب الثالث

أثر المنطوطى فى الأدب

أولاً - أحكام عامة :

لقد احتل المنطوطى مكانة كبيرة فى الأدب الحديث . وغدا من أكبر الأدباء الذين يشار إليهم بالبنان . وأصبح كل من يريد أن يكون فناناً فى عالم الأدب أن يتمم خطاه ، ويسير على منواله ، وينسج على هدى من أسلوبه وطريقته .

وطغى أسلوب المنطوطى على ما سواه ، وصارت له الصدارة والمكانة بين أرباب الفن وأهل البيان . ولذلك صارت الوصية لراعى الأسلوب أن يصنعوا صنيع الرجل وأن يحاولوا تقليده ومتابعته .

يقول الأستاذ النقاد كانت الوصية الأولى لطالب الانشاء عند أساتذة اللغة العربية بإجماع الآراء اقرأ للمنطوطى . وأكتب على منواله (١)

ولم ينل المنطوطى تلك المكانة من جاه أو سلطان . وإنما نالها لما امتاز به أسلوبه من عناصر الجمال والابداع ، ولما ظهر فيه من أسر وجذب . ولما بدا عليه من مظاهر التجديد والطراقة .

ولقد شهد للمنطوطى لقيف من الأدباء تضرب عنهم الأذى .

(١) المراجعات صفحة ١٧٨ المطبعة المصرية .

ونعرض لأقوال طائفة منهم وفي مقدمتهم العقاد . وإنما نتحلى برأى العقاد . لأنه لم يكن على وفاق مع المنفلوطي . وإنما العلاقة بينهما تتدرج تحت باب الصراع والمنافسة (١) لا الود واللفة . ثم لأن العقاد قليل التناهد على معاصريه . لذلك بدأنا بحديث العقاد بالمنفلوطي عنه من القلائل الذين أنثروا في الأدب الحديث . وكان لهم من الفضل ما لا يحصى .

أرى من الواجب على أن أعرض له بالتقدير لاقوم له بعض حقه وأدل على مكانه من أدب العصر الحديث في رأيي . اذ لا شك أن المنفلوطي قد كان صاحب مكان في هذا الأدب يعتد به ، ولا يحسن اغفاله (٢)

لقد كان المنفلوطي أحد أولئك الأدباء القلائل الذين أدخلوا المعنى في الاشياء العربي . بعد أن ذهب منه كل معنى وضل به الكتابون عن كل قصد (٣) وقولة العقاد تحمل من المعاني الجليلة ما تحمل . فهي اعتراف كاتب كبير . وفيها بيان لأثر الرجل . ولقد حدد العقاد في مجالين ١ - القصد ٢ - المعنى وعلى ذلك فلا سبيل لتلك القرية التي دانت على أذنان المتخفين رداً من الزمن وهي أن المنفلوطي لا يحسن سوى سبك الالفاظ وتكوين الجملة والبهلوانية التعبذية ، ولكنه لا يعرف المعنى ولا يحسن القصد . ولا يكتفى العقاد بما أسلفه وإنما يقول في امانة .

(١) مراجعات في الأدب والفنون . المطبعة المصرية صفحة ١٧١

(٢) مراجعات في الآداب والفنون صفحة ١٧١

(٣) مقدمة الشيخ سيد السعدي . لنور من ٣٣

ذلك هو مكان المثلوثى في أدب العصر الحديث على وجه الاجمال . ومن هنا فلا بأس على المثلوثى من حديث من يقول عنه .

كانت طريقة المثلوثى في كل كتاباته العاتية بالاسلوب واللفظ ، أكثر من عاتية بمجهر الموضوع ، ومن الآراء التي سارت في ركاب الذين يهتمون الرجل بالسطحية رأي الاستاذ الدكتور شوقي ضيف . ولا تجد تفسيراً لقوله « وما أشبه أدب المثلوثى في عباراته الرصينة المنعمة بالآنية المزخرفة . ولكنها آنية فلما حلت غذاء للذهن والفكر (١) غير مشايعة فكره سيطرت . ومجاعة أحكام قيلت »

وإذا كان العقاد قد قال رأيه في اجمال وقصد . فالزيت يحدث عن أثر المثلوثى حديثاً فيه شئ . من الاسهاب والترسل . يقول :

اشرق أسلوب المثلوثى على وجهه (المؤيد) اشراق الباشا ، وسطح اندية الادب سطوح العيد ، ورن في اسماع الادباء رنين النغم ورأى القراء الادباء في هذا الفن الجديد مالم يروا في فقرات الجاحظ وسجبات البديع ، وما لا يرون في غثاة الصحافة وركلة الوجعة ، فأقبلوا عليه اقبال الميم على الورد الوحيد العنب (٢)

والمثلوثى عمل أدبي أثر في وجدان الناس فترة من الزمن ، وشغل اذهان الادباء حيناً من الدهر . ففي يوم ١١ / ٤ / ١٩٨٧م نشرت (الصباحة)

(١) الادب العربي المعاصر ص ٢٠٥ دار المعارف .

(٢) وحى الرسالة ص ٣٨٦ ط السادسة . مكتبة النهضة .

وكان صاحبها أحد فؤاد قصيدة نظمها النفلوطي تهتة مرفوعة لسمو
خديوى مصر بمناسبة عودته من قفر الاسكندرية ومن هذه القصيدة الناعقة:

قدوم ولكن لا أقول سعيد ومك وأن طال الذى سيد
تذكرنا رؤيك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا . فأصاها مصوب سهم بالبلاء شديد
فلما توليت طينم . وهكذا اذا أصبح التركي . وهو سعيد
فكم سفتك منا دماء يرثه وكم ضمنت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر اشلاء حمة تمزق احشاء لها وكبود

لما ظم منكم بالمداة طارف ولا سار منكم بالسداد تليد
كأنى بقصر الملك اصبح باندا من الظلم والظلم للين ميسد

أعباس . ترجو أن تكون خليفة كما ود اباه . وزام جلود
فياليت دنيانا تزول ، وليتنا نكون يطن الارض حين تسود

وكان لتلك القصيدة من الوقع والاثر ما جعل السلطات تفرع ، وكان
الطلبة ينسخون القصيدة ويبيعونها . وتفتت أعداد (الصاعقة) في سرعة
مذهلة . حتى أن صحف لندن قد علقت على القصيدة وعلى أثرها لدى
المصريين (١) وبلغ من اقبال الناس على تلك القصيدة أن لما سليم مركيس

(١) تطور الصحافة . لأنور الجندى من ١٧٧.

بعد أن تفتت النسخ إلى حيلة لا تفلو من طرافه فقد كلف الشيخ عثمان الموصلي بتشطير القصيدة على أن يدخل فيها مدحا للخيديوي وبذلك ينشرها في مجلته ، وآمن بمكره ودعائه من بطش السلطان .

وكن تشطيرها على هذا النحو :

قديم . ولكن لا أقول سعيد (على طاهر هجو الملوك يريد)
(لأضرابه بيت من اللؤم طاهر) وملك وان طال للدي سعيد

وكان جزاء المفلوطي على قصيدة السجن نصف عام . وهو بذلك أول اديب مصري جهم بالعيب في الذات الملكية في العصر الحديث .

والمفلوطي كان شاعراً كبيراً وشعره يحتاج الى دراسة متأنية منصفة
ويكفي أن مصطفى صادق الرافعي وضعه في الطبقة الثالثة من شعراء عصره .
وقرته بأحمد الكاشف وأحمد محرم وإمام البد ، والعزبي ونسيم (١)
ولسوف نبين أثر الرجل في الأدب الحديث من خلال مجالين . مجال الاسلوب
ومجال الفكر .

(١) مجلة الترياق . عدد يناير سنة ١٩٠٥

أثر المنقلاطى فى الألب الءاءىء

أولافى الفءر :

لقد أءلف الرأى وءءابء ءول ءىمة أءب المنقلاطى . وىء ذلك الى عظمء الرءل . فكل أءىب ءى مكانة ىءءلف ءوله الرأى وءاك ءكم لا مرء له وصىفة لا ىءءلف . ولن نسطرء فى ذكر الآراء اللى ءناول الرءل فلىس ذلك بما ءصءناه . ولكننا سناءء أنفءنا بالءراة للموضوءة والءشف عن مواطن ءأىءه .

والأءكام الأءىة كمىءا ما ىءءءها الموى . وىطر علها الشءوة وءءلو من للموضوءة والامانة ولسوف أقءم رأىن لاءىىن ءىءىن لا ىءملان ءىء الءءء الموءور والنىظ المءىن الءى لا ىقى على ءسنة ولا ىءرف ىفضل .

ىقول الاسءاء مارون عبوءوهو عءء ءءه من الءىن ساءموا فى الءركة ءءافىة .

ىقول ولا أءرى لماءا سرت أرى المنقلاطى رءوامءءلا كالرأة الءركة اللى ءءمء على ىبها ورءلها لءهءى . فأءب المنقلاطى أءب مءلء مءش اغرء الصءف ىءرءاة ووءءاه فلقبءه (أمىء اللىان) فءطوع فى ءقول الاءمىن ءلاطى السناىل .

ويقول (لقد فتشت آثار المنفلوطي كلها فما عثرت بصير شخصي لهذا
الناخبة) (١)

ويقول : الأستاذ للرجوم ابراهيم عبد القادر المازني .
(ماذا في كتابات المنفلوطي مما يستحق أن يعد من أجله كاتباً أو أديباً
الا اذا كان الادب كله عبثاً في عبث لا طائل تحته) (٢)

وفي دراستنا لما تضمنته أدب المنفلوطي خير رد على تلك المقريبات .
وما يؤسف له أن الادباء الدارسين الذين رأوا للرجل فضلاً قهروا
ذلك الفضل على أسلوبه ونمطه في الكتابة . ولم يصدوا بما وراء ذلك .
واذا كان المنفلوطي قد أثر في الادب الحديث من ناحية الاسلوب فلقد
كان له فضل أى فضل في ناحية المعنى والفكر .

الريادة :

عندما شرح المنفلوطي في كتاباته القصصية لم يكن من المألوف آنذاك
أن يسخر شيخ أزهرى قلبه في هذا المضمار وأن يسلك به هذا السبيل وما ذلك
الا لأن المجتمع الأدبي لم يكن ينظر إلى القاص بعين التقدير والاحلال وإنما
بعين التزايه والتقص فإما ما كتب أدب قصة فانه لا يوقع باسمه الحقيقي
إنما يترك العمل غفلاً أو يرمز لنفسه برمز يختاره ويرضاه . ولقد صنع ذلك

(١) جدد وقسماء من ٣٧٣ مارون عبود دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ م

(٢) الديوان ج ٢ من ٨٤ دار الشعب بالقاهرة

المصنوع الأدب الدكتور محمد حسين هيكل. عندما كتب (زينب) سنة ١٩١٠
وكتب في أسفل التلاف بقلم فلاح مصرى مستنكفا أن يذكر اسمه لانه على
حد تعبير الاستاذ يعنى حتى من أميرة ومن حزب ويعنى نفسه بمستقبل
كبير (١) .

فإذا تصدى المنطوطى لذلك وذكر اسمه . وهو الأزهرى للمقيم والسيد
الحبيب عرفنا مدى ما يعرض له مثله .

والأدب القصصى كان يقابل باستهجان من القراء والمطالعين ولا يلقى
رواجا وتشجيعا ، وظل يعاني من ذلك حتى ظهرت كتابات المنطوطى فاحل
الأدب القصصى مكانة بارزة ، وتغوى على انداده من فنون القول كالمسألة
والمقامة . واستحوذ على أذهان القراء وعاطفتهم واجذبهم اليه حتى غدا
المنافس الأول للقصيدة . وحظى بالاحترام والتقدير . وكل ذلك - وهى
أمور عظيمة يرجع الفضل فيه الى المنطوطى الشيخ المحافظ .

وعلى ذلك فالمنطوطى (يصير دعامه من دعامات الفن القصصى فى الأدب
المصرى . فهو أول من صنع جمهورا كبيرا للفن القصصى وحمل القراء على
اعتبار القصص والروايات نماذج أدبية طالية لا تهمل روعة عن الشعر .

وبذلك يصير المنطوطى مرحلة هامة فى تاريخ أدب مصر الحديث بعامه
وفى تاريخ الفن القصصى بصفة خاصة (٢)

(١) غير القصة المصرية ص ٤٤

(٢) تطور الادب الحديث فى مصر ص ٢٠٤ د أحمد هيكل دار المعارف ١٩٦٨ م
وتطور الرواية البرية ص ٨٤ د عبد المحسن جبر .

ولقد أثر المنطوطى تأثيراً عميقاً في نفوس المتقنين فيه وطبع القراء بطابعه وصيغهم بصيغته وما كاد يجمع مقالاته في المؤيد ويضعها في كتاب حتى تهافت الناس على اقتنائها .

فبيع من الطبعة الأولى منها سنة ١٩١٠ على ما أخبرني للرحوم محمد راشد رستم عشرة آلاف نسخة . وهو رقم لم يصل إليه حتى اليوم عدد المبيع من كتب أكبر الكتاب إلا في القليل والنادر (١) .

وأصبحت كتابات المنطوطى ذات صيت وتفوز وطبعت النظريات أكثر من سبع عشرة مرة وكان لما فعل السحر في عقول القراء وخاصة الشادين في الأدب والناشئة في صناعة القلم (٢) .

ولم يكن المنطوطى يستطيع أن يكتب خلاف ما كتب إذ جاء في وقت عم فيه الظلم وتمشت القوضى وغدا الظلم الاجتماعى قاعدة من قواعد التعامل اليوى .

وذاق المنطوطى ما ذاق مواطنوه قفى ألمهم ، وترنم بأحزانهم ، وكان بداية لأعمال فنية عديدة سلكت سبيله وترسخت خطاه .

وإذا كان صاحباً الديوان يأخذان على الرجل ذلك الأسلوب الحزين ويسميه المزنى (التدابة) فإن تلك الطريقة كانت المنقش الوحيد للشعب الأسياف . والرمة التى ينضم بها غير الشكوى والتفور .

(١) ذكرى ط الصبا . الأستاذ فصي رضوان . مجلة الثقافة القاهرية العدد

٢٩ من ١٢ فبراير سنة ١٩٧٦

(٢) تطور الأدب الحديث في مصر من ١٨٩٦ د . أحمد ميكل .

وقد كان لهذا الأدب الحزين الباكي أحسن الوقع في نفوس معاصريه
إذ كان الناس يعانون من ضغوط كثيرة . على رأسها الاحتلال الأجنبي الذي
كان يشل كل حركة نحو التقدم . ويعجز الأفراد عن المقاومة فيلجأون إلى
التفيس بمثل البكاء والدموع التي يحدثنا عنها المنفلوطي (١) .
ومن هنا أثرت كتابات المنفلوطي وخلدت فيما لم تبق كتابات أدباء
كثيرين .

وصدق المستشرق (جب Gipp) حيناً قال عن كتابات المنفلوطي :
إنها بقيت حية مقروءة على حين اخفت معظم الكتابات التي كانت تهاجم
صاحبها وذلك لأنها كانت أكثر تمثيلاً لروح العصر .
والمنفلوطي على ذلك رائد من رواد الأدب الحديث ومؤثر ضخم في عقول
وأفئدة كتاب تلك الفترة . وسوف تدلل على ذلك في الدراسات المتخصصة
والتي سوف تقصرها على بيان أثره الفكري .

أولاً :

أثره في الزيت

تأثر المرحوم الزيت بالمنفلوطي أسلوباً وفكراً وسوف تهمر الحديث
هنا على الجانب الفكري .

ولعل أول عمل فني عثرنا عليه للزيت تلك القصة التي نشرها في مجلة

(١) القصة القصيرة في مصر من ٥٦ . عباس خضر . الدار القومية للطباعة

والنشر ١٩٦٦ م .

(السفور) بعنوان (ضحية السيل) وهي تعالج موقف المرأة المصرية الجاهلة التي يتكاثر حولها ذئاب المجتمع المصرى حينما تفقد مائلها في حادثة سيل .

وتدفع إلى مصيرها دفعا لأنها على حد تعبيره (المرأة المصرية لا تستطيع أن ترتق بإيرتها ، ولا تكتسب بقلها) .

وتلك قضية طالما دافع المنفلوطى عنها وهذا المجتمع إلى تعليم المرأة وتحقيها (١) .

والذى يقرأ آثار الزيت ولا سيما وحي الرسالة يقف على أثر المنفلوطى التفكير لدى الزيت فهو يعالج من الموضوعات ما طالج ويشير من القضايا ما أثار ويقترح من الحلول ما يقرب من مقترحات المنفلوطى .

يكتب الزيت عن رجال الدين فيعيد إلى الأذهان ما كتبه المنفلوطى في المؤيد ويحدث عن المرأة ومشكلاتها فتشعر أن المتحدث هو السيد مصطفى لطفى ، ثم يعرض لمشكلات اجتماعية كال فقر والجمل والعادات البالية فلا تشعركبير فرق بين الرجلين ولا بين بيد بين المالحين .

ويكتب الزيت بعض القصص القصيرة فلا يزيد شيئا على صنيع المنفلوطى . فالسرد والوصف والأبطال والمعالجة منفلوطية من ألفها إلى يثها .

ففي الجزء الثالث من وحي الرسالة عدة قصص منها (قصة فتاة) (٢٥) ، فتجد أن المعاناة المنفلوطية والاستسلام والركون إلى القدر والخضوع لمشية الأحداث وكذلك (قصة حشاش) و (صديق الكلاب) و (بهيمة)

(١) السفور ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩

(٢) وحي الرسالة ج ٣ ص ٣٠٣

و (نأسة شاعر) كلها أنماط لا تجديد فيها ولا زلزلة لديها عن أنماط
المنفلوطي القصصية .

فإذا ما تركنا الجزء الثالث وتصفحتنا الجزء الرابع ألقينا أنفسنا حيال
مجموعة من القصص ذاتها نفس الفكر نفس الهدف نفس المعالجة ويجدي ذلك
جليا في قصص (جلاء الشيطان) و (سيدنا الشيخ حسن) و (الغرام
الأول) و (في سبيل الأرض الطيبة) و (رجلان وأمرأة) «١»

ولقد وقفنا في الباب الثاني من عملنا هذا على ما كتبه المنفلوطي عن وجوب
معرفة اللغة العربية وآدابها . ولا بأس في مادة نص آخر له يقول (ما أصيب
البيان العربي بما أصيب به إلا من ناحية الجهل بأساليب اللغة ولا أدري كيف
يستطيع الكاتب أن يكون كاتباً عزيزاً قبل أن يطلع على أساليب العرب «٢»
ويعالج الزيمات نفس الموضوع قائلا «أن الكاتب والشاعر محتوم عليه أن
يدرس اللغة دراسة خاصة : يضلح من مادتها . ويصمق في قهها ويتبسط في
أدبها ويحيط بعلمها ويوغل ما استطاع في استبطان أسرارها واستقراء
الوانها . . ومن زعم أن الغروض وسائر علوم اللسان لا ينبغي حذقها لغير
الأزهريين أو المتخصصين فهو هازل لا يريد أن يكون شيئا مذكورا في
هذا الفن «٣» .

وإذا كان المنفلوطي قد شن حملة شعواء على معالي اللغة العربية وثقلنا

(١) وحى الرسالة ج ٤ ط ٢ مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨ م

(٢) النظرات ج ٢ ص ٥

طرقاً منها في الباب الثاني ونال فيها من رجال الأزهر ومنهجهم وهاجم الطريقة المتبعة في تلقين اللغة وتدريس اللغة العربية فان الزيت قد سار على طريقه وصنع صنيعه .

(اذا غنى القائمون على الثقافة بتعليم اللغة وعرضوا على النشء المثل العليا من الادب قديمه وحديثه . ورغبوه في قرائتها بالعرض للمشوق والطابع الانيق . . والمكافأة الحسنة رجونا أن تنشأ الازواق على الصحة وتجري على الطبع . فتعاف الادب الرخيص وتستبشع الاسلوب الفث . وتتكبر النقد المزيف واذن تنقى رياض الادب من الحشرات والطفيليات فلا تسمع لنوا ولا تأثيا ولا شعونة .

أن معلمى اللغة في كل أمة م وحدم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم في الناشئ وآية ما نجسده في مصر من فوضى الاخلاق والاذواق لدليل على أن في بعض معلمى العربية ضعفا في الاستعداد أو تقصرا في الاعداد نضرح الى القائمين على شئون التعليم أن يعملوا غلصين لمعالجة (١) وتأتمر المشغلوطنى في فكر الزيت واضمح في معالجته وكتابته . حتى لا يحتاج الامر الى هيئة ولا يحوقف على شاهد .

ثانياً :

أثره في طه حسين

لعل من العجب أن ندعى أثرا فكريا للمشغلوطنى على رجل في مثل مكانته

الدكتور طه حسين ولكن البعث المنصف والعمل الجاد المجاهد يشر إلى ذلك
الأثر في غير موطن . ويدل عليه في أكثر من عرض .

ومن العجب أيضا أن علاقة الدكتور طه حسين بالمنفـلوطى لم تكن
مستقرة ولم تسر على وتيرة واحدة . فقد بدأت بإعجاب شديد وانتهت من
الشيخ طه حسين الأزهرى (١) ثم انقلبت إلى عداوة وخصام حينا أو عز الشيخ
عبد العزيز جاویش إلى الشيخ طه حسين بمهاجمة النظرات لحاجة في نفس
الشيخ جاویش وفتح صدر مجلته وتآهب لذلك طه حسين وأمطر النظرات
بوابل من السباب بلغ من العنف فاجته ثم ينتقد الدكتور طه حسين شعراء
مصر . ويعيد ما ظله المنفلوطى . يقول : د طه حسين (وعندنا شعراء
ولكنهم لم يجددوا شيئا ولم يتكروا ولم يستحدثوا وإنما اكتسبوا شخصيتهم
من القديم واستعاروا عديم النقى من القدماء (٧)

وهذا القول يكاد يكون قول المنفلوطى في تقديمه لديوان أحمد الكاشف
(شعراء مصر في هذا العصر ليسوا شعراء هذا البلد ولا هذا الزمن .
وإنما هم جماعة من تجار العاديات لا يزالون يصورون لنا في هذه العصور تماثيل
كاذبة لآداب الجاهلية الأولى)

والمنفلوطى يقول : ليس البيان إلا بالتعبير عن المعنى القائم في النفس (٣)

(١) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٦ ط ٦ مكتبة النهضة ١٩٥٧ م

(٢) حافظ وشوقي ص ٧٢ دار المعارف .

(٣) النظرات ج ٢ ص ٣

ويقول د. طه حسين « الشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفة » (١) .

ويثور الدكتور طه حسين على من يظنون أن الشعر نظم وموسيقا .
ويفرد فضلا في كتابه (حافظ وشوقي) عن النظم .

والمثلولي يقول في سخرية شديدة ورائدة « إن علماء الغباد الذين عرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون للفق لم يكونوا شعراء ولا أدباء .
ولا يعرفون من الشعر أكثر من إعرابه وبناؤه واشتقاقه وتعريفه » .

وإذا كان الدكتور طه يرى أنه « قد كان من الحق على اللأب أن أهدأ حافظا حتى لا يضاف إلى الشعر ما ليس منه . ولا يحسب على الفن أنرا ليس من آثاره في شيء » .

فإن المثلولي قد سبق بقوله في تبكيت وتهرج وإيلام « لا تظنوا أن الشعر كما تظنون وإلا لاستطاع كل قارئ بل كل قاطق أن يكون شاعرا لأنه لا يوجد في الناس من يعجزه تصور النغمة الموسيقية والتوقع عليها من أخصر طريق » .

ولم يقتصر تأثير المثلولي على ذلك بل تعداه إلى مواقف عديدة منها موقف الدكتور طه حسين من نظام التعليم الأزهرى ومهاجته في جراءة وجسارة ماى إلا نغمة مثلولية ، ولقد دنا في الباب الثانى موقف المثلولي من الأزهر وعلمائه ، واتخاذ الدكتور لنظام التعليم بوجه عام فيه من أثر

المنطوى ما فيه ، وفي كثير من آراء الدكتور الإصلاحية والدينية أثر من فكر المنطوى .

ويبدى ذلك جلياً في بعض أعمال الدكتور طه حسين الفنية .

فلقد مالج د طه حسين قضايا اجتماعية بأسلوب منطوى صرف وسوف تقتصر في حديثنا على مهلين : (دماء الكروان) و (المخذون في الأرض) .
ودماء الكروان عمل قى مالج فيه الدكتور طه حسين أثر الجهل على مستقبل الأسرة المصرية ، وخطورة التقاليد على البيئة .

ومن خلال المواقف المتعددة والمشهدات المتجاذبة يوقتنا المؤلف على ما يرى إليه ، وهو ضرورة العناية بتعليم المرأة ، ولكن يقتضينا بذلك يدفع التقاة الجاهلة إلى الجريمة ويحملها حملاً على مقارفة المنكر ، ثم تأتي مأساة العادات والتقاليد فتقضى عليها قضاء مبرماً .

أما القاة المتطفة فأنها ترتفع بغيرتها وتواجه مشكلاتها في موضوعية وفهم ، وتحمل الرجل المستهتر على احترامها ، ويبلغ الأمر فاجه فيقولون الشاب بها وما كان لها أن تنال ما نالت إلا لأنها متصلة ..

وهذا المعنى كرهه المنطوى مراراً ، ولاكه كثيراً ، ولقد أوردنا نماذج عديدة للمنطوى في هذا السياق ، بل أن جل أعمال الرجل الفنية تنحو هذا النحى ونصبه ذلك الإجماء .

أما العمل الثانى ، وهو المخذون في الأرض ، فلوحة فنية عرضها الدكتور طه حسين في أسلوب وطريقة يمتزجان من أسلوب وطريقة المنطوى ...

وإذا كان المنطوي قد نجح في تصوير ما كان يعانيه مجتمعه آنذاك
فإن المعذبون في الأرض لم تكن سوى تصوير لما يعانيه الناس في تلك الفترة
التي كتبت عنها (١).

ولقد قل الدكتور طه حسين نماذج من الذين لا يجدون ما يتفقون ،
وتحدث عن البؤس الذي يشق به الكادحون من أبناء الشعب المصري وطالج
بعض الظواهر الاجتماعية كالطلاق والخلاف والشقاق في الأسرة ، والفقر
الذي يدفع القاعة إلى الهاوية والمرضى الذي يودي بالإنسان .

وإذا كان المنطوي قد أخذ عليه أن أبطاله مستسلمون منهزمون
لا يثرون ولا ينجون من واقعهم فلقد دعا الدكتور طه حسين إلى ذلك ،
وصور أبطاله تصوير المنطوي ...

يقول : « البؤس قضاء محتوم علي البائسين ، كما أن النعيم قضاء محتوم
علي المتنعمين والشقاء قدر مقدور علي الأشقياء ، كما أن البعادة قدر مقدور
علي السعداء ، فإرجل الحازم العازم الحكيم خليف أن يرضى بالقضاء المكتوب
والقدر المحتوم يحتمل الخير غير أنه زاهد فيه ويحتمل الشر غير ساخط عليه
حتى ينتهي أولئك وهؤلاء إلى المواطن الذي لا يكون فيه شقاء ولا حرمان ،
والذي لا يكون فيه فقر ولا غنى والذي لا يكون فيه سر ولا عسر والذي

(١) المعذبون في الأرض من المقدمة ، سلسلة اقرأ العدد ١١٨

دار المعارف .

تتحقق فيه المساواة بين الناس جميعاً حين يصبون إلى تراب كما خلقوا من تراب» (١).

ذكرنا في الباب الثاني رأى المنفلوطي في الإحسان وموقفه من أغنياء حكومة مصر ، وليس يعيد عن رأى المنفلوطي السالف رأى الدكتور طه حسين ، بل اتى أدعى أنه هو مع شئ من التصوير الطفيف ، ولست في حاجة إلى إعادة ما قاله المنفلوطي وإنما نحن في حاجة إلى رأى الدكتور طه حسين ، يقول :

« ليت أغنياءنا يفكرون أنهم يستطيعون أن ينفقوا من فضول أموالهم مخلصين غير متافقين ولا مرأين ، وليت أغنياءنا يصدقون وعدا الله أو يمتحنون هذا الوعد ، ولكن هيات ليس إلى ذلك من سبيل لأن أغنياءنا لا يقرأون ، وهم إذا قرأوا لا يؤمنون وهم إذا آمنوا لا ينامرون ، وأهونه عليهم أن ينامروا بالألوف في ناد من أندية الميسر وميدان من ميادين السباق من أن ينامروا بالألوف في سبيل من سبيل الخير ، والشئ الذي يملأ للقلوب غيظاً والنفوس كدأ هنا أن الحكومات ترى من حرص الأغنياء وبخلهم ومن تمصير ما ترى ثم لا تبيح لنفسها من فرض الضرائب ما يتبع لها أن تبين المنكوب وتقيت الملهوف ، وتقف المحروب وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له » (٢).

(١) المذبذبون في الأرض ص ٨٢ ، ٨٣

(٢) المذبذبون في الأرض ص ١٨١ ، ١٨٢

ونفيض الكتاب بالحديث عن الإنحلال الخلقي إذ يدفع الفقر والجهل فتاة نحو زوج عمتها ويضجر أبوها حين يرتاب في سلوك ابنته ، كما يتحدث عن ثرى مغرى قروية وبأخذها إلى المدينة ويقتن أخوها أثرهما فيقتلها ويسلم نفسه للشرطة .

وإذا كان المثلوثي قد عيب عليه أنه لم يراع الأصول الفنية في كتاباته القصصية وأنه كان يرسل خواطره إرسالا ، ويتبع أفكاره تتبعاً غير سائر على نمط قبيح ولا خريص على التقاليد المرعية لهذا النوع من الفن ، فلقد أدرك الدكتور طه حسين أنه لم يخضع أعماله الفنية لأصول ذلك الفن ، فقال مدافعاً عن نفسه :

« لا أضع قصة فأخضعها لأصول الفن ، ولو كنت أضع قصة لما التزمت إخضاعها لهذه الأصول لأنني لا أؤمن بها ، ولا أذعن لها ، ولا أعترف بأن التقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن ، وإنما هو كلام يخطر لي فأمليه ثم أذيعه ، فمن شاء أن يقرأه فليقرأه ومن ضاق بقرائه فليصرف عنه ، والمهم هو أن يخطر لي الكلام وأن أمليه وأن أذيعه ، وأن يشعر القارئ - بأن به ذوقاً صافياً يستطيع أن يعرف في الأدب وأن ينكر وأن يقبل من الأدب وأن يرفض ، وليس هذا كله بالشيء القليل » (١) .

(١) مجلة الكاتب ص ٤٥٤ يناير سنة ١٩٤٦ م .

ثالثاً : أثره في عهد تيمور

وللنفلوطي أثر كبير في اتجاه عهد تيمور الاجتماعي . ونحوه هذا النحو . فلقد مهد الرجل بكتابات له لكل من رام القول القصصي ورفع عنهم أسرهم والأغلال التي كانت عليهم .

وإذا كان النقاد يصيرون قصته (في القطار) المنشورة في جريدة (السفر) سنة ١٩١٧ أول قصة مصرية حديثة فانه استوحى المعالجة والنمط والإطار الفني وحتى الأسلوب من النفلوطي . فإين البلد الذي أنهكه الظلم وذاق ويلات العذاب ولاقي من اضطهاد وعنت ، والسخرة من أبناء الطبقة الراقية الفاسدين وتصوير مساوئهم ومبائهم ، وحقارة حياتهم وآمالهم وسوء تربيتهم ، كل تلك المعاني التي بينت عليها قصة (في القطار) معاني منفلوطية وأفكار له فيها الحظ الأوفى ومجموعة عهد تيمور (ما تراه العيون) تلك سبيل الانتقاد وتعالج الواقع المصري الأليم ومنها تلك القصة التي روج لها بعض النقاد وهي منفلوطية ، وأعني بها (عطفة الـ . . منزل رقم ٧٧) تعرض نموذجاً من موظفي الحكومة وتدور حول المرأة وخيانتها وتتميز بالسرد والوعظ والمباشرة في التعبير وتلك كلها ملامح منفلوطية .

وقصة (صفارة العيد) تصور يؤس طفل يتيم في يوم العيد وكم عرض لنا النفلوطي نماذج مبكية ودامعة لمثل ذلك . .

وقصة موباسان (ربي لمن خلقت هذا النعم) غم تيمور أحداثها وأبطالها ومصرها تمصيراً وغير معالم القصة ولم يبق غير روح الكاتب وذلك ما صنعه النفلوطي في جل أعماله الأجنبية .

وإذا كانت بعض الكاتبين يرون أن المفلوطي تهوى في المقال القصصى فقد مرت تلك الظاهرة إلى محمد تيمور ونجح في ذلك أيضاً ومثني على درب المفلوطي الفكرى فالتقارنه بين عز القى وتعاية التقير والتقدم والتخلف والشباب الذى لا يمتيه سوى ترجيل القصة وتصنيف الشعر والتحدث بطريقة غثثة ذلك وغيره من موضوعات المفلوطي كتب عنها محمود تيمور .

ويجلى التأثير في جل الأعمال الفنية ولا سيما (لبن بالقهوة ولبن بالتراب) والمؤلف يتحدث عن نفسه فيها وكيف أنه لا يقبل على تناول القطور وصدفت نفسه عنه وحيناً هم بالمخرج من منزله بصيص له كلبه بذنبه فألقى إليه بفنتجان القهوة واللبن .

ومن الدارسين الذين اعترفوا بذلك التأثير الفكرى بين المفلوطي ومحمد تيمور الدكتور حامد شوكت حين يقول عن محمد تيمور :

« قبه من المفلوطي أثر الدعوة إلى الإصلاح ولحمة من قده للأغنياء وإضافه للقراء وفيه بساطة الإطار القصصى مثله » (١) .

وركب قطار الرمل في الاسكتيرية فبصر برجل طاعن في السن ومعه غلام وقد انسكب منه قدر سالته سائل أيضاً أدرك بعد ذلك أنه لبن ولم يبد الرجل واجته شيئاً من الحسرة ولم يركبها طائفة من القزم وحده الله (ثم لم ألبث في طريق قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكتيرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لابسين من الملابس ما لا يحجب من جسدهما

(١) ما تراه الميون ص ١٢٧ .

إلا القليل طاردي من الملابس على الرأس حافي الأقدام تراكم على جبهتهما
وملابسهما القاذورات والأوساخ تسابقا لمكان الحادث ولما وصلا إليه
ركعا على الأرض وليثا بلمعان اللبن وكان لبناً بالتراب لا بالقهوة ، باقة
أترفض نفس في هذا الصباح فتجان لبن بالقهوة وترضى تصاهدين الفقيرين
لبناً ممزوجاً بالتراب ؟ (١) .

رابعا - تأثيرات وأشخاص

يصعب تحديد الأشخاص الذين اقتضوا أثر المنفلوطي ومن الصيحات
يحمي المرء عدمه ، ولكن من الممكن تلمس الأثر الفكري والتعرف على
الجانب المتفلوطي .

ومن الذين تأثروا فكرياً بالمنفلوطي شحاته عبيد في بحرته (درس
مؤلم) والتي صدرت سنة ١٩٢٢ م .

ولا أدل على ذلك التأخير من قول شحاته عبيد في مقدمة عمله « تشاهد
كل يوم حوادث لو أن المرء اعتنى بها ودرسها درساً دقيقاً باحثاً عن مسبباتها
وتأثيراتها لأخرج منها أبلغ العظات وأحسن القصص » وهو اتجاه منفلوطي .
وعزف على نغمة من أنفمه ، وهو يهاجم في قصته (درس مؤلم) والتي حملت
المجموعة عنوانها - العادات السيئة والأخلاق المرددة ، والمظاهر الخدعة
التي وفدت مع المدنية الغربية ، ويكشف النقاب عن العلاقات المريبة بين الشباب
المصري من الجنسين والذي نشأ فيهم لسوء تربيته .

وإذا كان المنفلوطي قد طالب بعلم المرأة والرقى بمواطنها وأحاسيسها

والنهوض بمستواها الفكرى وللادى . وقدم لنا نماذج للمرأة السيئة وما يترتب على ذلك من علاقات مشينة ومواقف طريفة . اذا كان المنفلوطى قد فعل ذلك فان شجاعة عبيد قد سلك نفس السبيل في قصص عديدة ولا سيما فى (مبروك يا أم أحمد) و (الغيرة العمياء) والأخيرة (الغيرة العمياء) تحكى قصة امرأة ملت عنها زوجها ، وكانت تحبه جاسما وتغار عليه غزرت عليه حزنا شديدا . وفى مرة سألت الشيخ الذى تحضره كل يوم الى البيت ليقرأ سورة على روحه . سأته عن زوجها (محمد بك) أين هو وماذا يعمل ؟ فقال الشيخ أنه فى الجنة ينعم بالخور العين . فامتقع لونها . وقالت يا بن الكلب على أنا يموت نفسى عليك وأنت بعمل كده (١٥)

تمحود تيمور -

ذلك العملاق القنى الكبير قد تأثر فى أول حياته الفنية بالمنفلوطى ومالجه ما مالجه المنفلوطى . والذى قرأ ما كتبه عن (الشيخ جمعه) (وهم متولى) و (الشيخ سيد المييط) يجد أثر المنفلوطى واضحا جليا .

وقد يتنا فى الباب الثانى ثورة الرجل على العادات التى يظنها الجهلة من الدين والدين منها براء . ورأينا برم المنفلوطى بها وضيقه منها وكيف أنه شن هجوما عنيفا على أوكار القصاد فى اللوائد والتجمعات الصوفية ، وقد مالج محمود تيمور كل تلك المعانى فى قصصه السالفة الذكر . وكشف عن خزعبلات وأوهام . وبين كيف « أصبح عم متولى بائع اللب والقول السودانى وليا

(١) درس مؤلم ص ٤٩

من أولياء الرحمن تصبى إليه الناس استشفاء لأمرأض أجسامهم ونفوسهم ،
ويستمر الرجل في عبارة الهدى والالهام ، ويعمل على تصحيح القصيدة
وتقويمها وهو الأمر الذى اضطلع به من قبل ، وقد أشرنا الى ذلك في
الباب الثانى .

وقصه الشيخ (سيد العيظ) والى غير المؤلف عنوانها سنة ١٩٣٧
وجعله ضريح الأربعين هذه القصة تحارب إيمان القوم بالله وتقدم صورة
مضحكة للآولياء الذين يحقد الناس فيهم خيرا ويغفون عنهم الفضل ،
وتشرح كيف تختلف الناس حول رجل .

فالشىخ سيد العيظ ولى من أولياء الله فيجب إكرامه والطف عليه . ثم
يرون - كما أوعز بذلك خطيب المسجد - أنه شيطان يخدم إبليس . فاجتمعوا
عليه . وانم الوا عليه ضربا حتى قتل . ثم يقول : ومرت الاعوام على هذه
الحادثة ، ونهى الفلاحون ضربا للشيخ سيد ؛ أصبح كمية الزوار من كل
صوب وحلب ، يقصده من الناس من اشد به الكرب أو قرأت به احدى
النوازل ، فيترك به متوسلا مستغيثا يطلب معونة ، ويرجو رضاه (١)

وهذا النمط أقرب انماط للتفلطى ومعالجته للتركبة .

أما العلاقة بين التقى والفقير وسوء ما يصنع أغنياء مصر فقد أكرر من
تناوله تيمور ولا سيات قصته (خلا سلام باشا)

(١) الشيخ سيد العيظ - تيمور .

ذلك القنى الذى يضمن بآله على ذوى رحمه . حتى اذا ماتت أتفق عليها
في شرف وبذل في إفراط ويقول تيمور عنه .

« انه يفعل ذلك في سبيل الأبهة والعظمة ، ان القرش الذى كان يدخل
به عليها في حياته ، سيصرف أضعاف مئآت وآلاف من المرات عليها
في موتها . وغايته من ذلك السعي وراء العظمة الكاذبة التى اعتد أن يجرى
خلقها طوال حياته ، والتي لا يعرف سواها لاسعاد نفسه في هذه الحياة » (١)

وعلى ذلك فلمنفلوطي أثر فكرى كبير على محمود تيمور وان كان تيمور
قد حاول التوصل من ذلك ، ورعى المنفلوطى بعض المقترحات يمكننا أن نجاهر
بلاخشية ولا لوم .

ان المنفلوطى وان كان ابداعا فى أسلوبه القصصى السلس الجيد . فقد
فشل فى مواضيعه القصصية ، ورسم أشخاصه فيها ، فجعل مواضيعه أقاصيصه
تافهة ، يصح أن نصفها الى مجاميع الامثال والمواعظ ، أما أشخاص قصصه
فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تلتصق أمام عينيك من
شحوبها . . . (٢)

(١) الشيخ سيد المييط ص ١٢٥

(٢) الشيخ سيد المييط ص ٤٤

محمود طاهر لاشين - ت ١٩٥٤م

للمثلوطن تأثير فكري على الكاتب محمود طاهر لاشين ، وهذا التأثير
الفكري يجعل في معالجة القضايا الاجتماعية ، والابانة عن العلاقات الزائفة
بين الناس والكشف عن السلوك اللعيب الذي يبدى في تصرفات الطبقات
المختلفة .

ولقد طالع طاهر لاشين في أعماله أدواء الشعب ، ورسم صوراً حية
ناضجة لا يعانيه وذلك ظاهر جلي في (سخرية الناي) التي كتبها سنة
١٩٢٦ ، (ويحك ان) سنة ١٩٢٨م و (حواء بلا آدم) ١٩٣٤م و (القباب
الطائر) سنة ١٩٤٠

والتأخر في أعماله يدرك ادراكاً سريعاً أن طاهر لاشين تؤرقه المصوم
الاجتماعية التي ينوء بها كاهل الشعب المصري ، ويضيق ذمها بذلك الكايوس
الذي يحتم على صدر بني جلده متمثلاً في الفقر والجهل والمرض ، وتقذوب
نفسه خسرات على الاخلاق المنهارة والقيم المتداعية ، وللندية الزائفة التي
أساء كثير من المصريين فهمها .

والتأمل في قصته لا يفوته أن يشعر بحب مسئولية الادبية الاصلاحية (١)
وهذه المسئولية الادبية هي ما أشار اليها للمثلوطن مراراً ، ورددها في غضون
أدبه وقد أفضنا في بيان ذلك الباب الثاني من هذا البحث . طالع طاهر لاشين
في سخرية الناي (أثر الفقر على حياة انسان مصري رمز اليه . ب . عم)

(١) يحكي أن . مقدمة الدكتور أحمد زكي أبو شادي ص ٥

وهذان) وهى معالجة متغلوطية تستدر النعم ، وتستجلب الشفقة وتحض على الصلوات . (نعم وهذان) هذا لا يخرج عن شريد حائر يسلبه الصيف اللافح إلى الشتاء القارص ويطوح به الريف العابس إلى الحضر المأزى يطارده البؤس ويصعبه الشقاء (١) وفي (يحكى أن) يعالج سبيل المرأة التي تسمى فهم التمدين ولا تعرف من التقدم الا انه ارتياد أماكن العبث والتلفظ بكلمات أجنبية سقيمة ثم ، ما يدور في أذهان الشباب وهى معالجة المتغلوطي لقضايا الشباب كما أشرنا الى ذلك وتطلع الطبقة الفقيرة الى آمال الطبقة الغنية .

وفى معالجة الفنية دلالات اجتماعية أخرى كانهراف الفتاة لانتقامها من التكاليد البالية إلى الحياة الحديثة بدون وعى أو تبصر وانطلاقها فى الاخذ بأسباب المدينة الفرية من غير وازع ولا تربية وتحدث عن بيت الطاعة والقهم الخاطيء . للزواج ولا يقتصر تأثير المتغلوطى الفكرى على تلك المعالجات وانما يصدها الى مجال آخر هو مجال البدع والمخراطات الدينية .

وانا كان للمتغلوطى قد سخر من الدجالين سخرية ممضة وتهكم بهم التهمك اللاذع وقال منهم فان قصة (الشيخ محمد اليامانى) فى مجموعة (يحكى أن) خير دليل على ذلك التأثير الفكرى .

فالشيخ اليامانى عند طاهر لاشين دجال يدعى انه من أهل البامان وقد الى الراوى طالباً أن يصغنه ويعدله يد العيون والمساعدة لأهل الباطن وجيوشهم ومن خلال الحوار والرد يعتقد لاشين نصرطت وتطورات تلك

(١) سخرية الثانى ص ٦

الثقة التي خدعت العامة وضجعت على ذوقهم متسرة تحت ستار الدين حينا والصوفية آوثة والباطنية أن أمكن وإذا كان المتخلوطي قد وجه سهامه الى علماء الدين الذين يهرفون بما لا يعرفون ويتجرءون على كتاب الله ، ويقولون فيه بلا علم ولا فهم فقد تناول (طاهر لاشين) هذه الظاهرة وستقتصر على وصفه لرجل من الذين يفرضون أنفسهم فرضاً على الدين ويحكمون باسمه كلاماً هو براء منه يقول الراوى وقد فتته أنات موجعة يتهد بها من بعيد ناي حزين ويرسلها في دعة (ويظهر صديقي فاذا الشيخ مسترسل في تفسير آيات من القرآن وإذا به يحصرها عصرأ فيريقي روحانيتها ويتخذ من قل الالفاظ بلما كان يتزل على قلوب سامعية سلاماً) . . .

وهذا الكلام اشكل بكلام المتخلوطي واقرّب مودة الى تحكيم السيد ومعالجه . . .

حسن محمود

تأثر الكاتب حسن محمود بأفكار المنفلوطي ومعالجاته وكتابات حسن محمود في (السفور) خير دليل على ذلك . .

ولقد عزى حسن محمود ذلك الظاهر القبي الذي يصحذه بعض رجال الدين سياجاً يحميهم من التشهير والتناول وقدم لنا شيخاً من حملة القرآن المحترفين لقراءته يغضب غضباً لا حد له لأن زوجه أنجبت أنثى ويستغل حسن محمود هذا الحدث غير المركب ليجعل منه عملاً فنياً كبيراً محلاً لنوازع الرجل وميئناً نزمات الشيطان لديه ويسوق ذلك كله في قصته « الزوجة الأثيمة » (١) .

ويقدم حسن محمود على معالجة ثانية طالما ندد بها المنفلوطي وشنع عليها وهي فرية المحلل التي شاعت وراجت آنذاك (٢) .

يتقدم رجل ثرى إلى طالب في الأزهر تبدو عليه المسكنة ويحوط به القفر طالباً منه أن يكون محلاً لزوجه التي بانت منه وهو يومئذ في الطالاب الصلاح والتقوى ولذا فلن يقترب من زوجه ولن يمسه بسوء .

وفي مقابل صنيعة هذا فسوف يشتري له المخطوط الثمين الذي يعني نفسه باقتنائه وتم الإتفاق ولكن الطالب المستور الحال بعد أن قضى مع المرأة ليلة غداً شيطاناً رجيماً ، واعتزت الرجل الدهشة ولم يعلم ما ألم بالشاب . ولكن

(١) السفور ١٩٢١/٤/٣ م

(٢) السفور ١٩٢٢/٧/٥ م

كان هناك شيخ واقف على باب مسجد الأزهر وهو يعلم الحقيقة هذا الشيخ
بعمامة حمراء وكان يضحك مله شديقه سروراً ..

ومن الذين أثر فيهم المنفلوطى فكراً الأستاذ إبراهيم المصرى ولا سيما
مجموعته (كأس الحياة) تلك التى تعنى بما على به المنفلوطى من تصوير العلاقة
الاجتماعية بين الشعب المصرى والعمل على إبراز ما يكتنف تصرفاته من أخطاء
ومعالجة ذلك والتصدي لدرء تلك الشرور .

وفى مجموعة الأستاذ المصرى نهر غيرة أم من بناتها . وتبلغ بها الغيرة
أقصاها فتصدى لخطأهن ، وتعال منهن ما تبغى .

وإذا كان المنفلوطى قد حمل الرجال ثبعة تنقيف المرأة وتويرها ، والرقى
بأخلاقها واحترام مشاعرها فإن المصرى يسر على ذلك المتوال فيقدم لنا
فى قصة أخرى من مجموعته رجلاً مستتراً ، لم ينل حظاً من تربية ، ولم يحترم
قداسة الروابط الزوجية ، فيظل يزين لامرأته المنكر ويجعل لها القبيح ،
ويحفرها ويدفعها للفجور ، حتى تقترب الإنم ، وتهوى إلى قرار الحضيض .

وإذا كان المنفلوطى يعاطف مع الفقراء ، ويعصوم أبطالا يستأهلون
الحب والتقدير ، فإن (المصرى) قد سار على ذلك النهج ، ورسم لنا فى قصة
أخرى من مجموعته ، صورة لامرأة فقيرة معدمة ، قد نال الفقر من زوجها
وأجهز عليه ، وتراكت المسغبة على أهل البيت ، وأدرك لتقيف من ذوى
الثراء ذلك ، فقاموا حول المرأة طارئين عليها المساعدة فى سبيل قضاء وطر ،
بذلن أموالهم لقاء مئة ..

ولكن المرأة التقيرة تصممها أخلاقها عن الإعراف ، وحبها تريتها
سوء السبيل .

وفي هذا تأثير المنفلوطي وبدمره إلى الإصلاح ، واقتداء به في معالجة
أدواء المجتمع ، وتوظيف الأدب لخدمة الإنسان .

ومن الذين تأثروا بالمنفلوطي فكراً الأستاذ صلاح ذهني في (الكأس
السابعة) .

فالملاح للمنفلوطية تمخلل صلاح ذهني .. الذي أهتم بالترية ، وأثرها على
العلاقت التي تسود المجتمع . وصور لنا صلاح ذهني قصة مهندس بلغ من
العلم المدني مبلغاً كبيراً يحسد عليه ، ولكنه كان سيئ التزود لا يعرف عن
الحضارة إلا الاقتراف والتكر ومعاقرة الشر ، والعكوف على العريضة
والتجور . ويتزوج هذا المهندس من فتاة مصرية ذات تماليد لا تعرف الوهن
وسحات لا تعرف الخنوع ، ولكنه يخاورها ويستعصمها على نبذ تلك التقاليد
البارية ، وطرح تلك التصورات التي لا تجدى الآن ، وأغراها بداية بالشراب
فلما شطت ذكاتها إلى الإعراف مزبناً سبيله ، مفرطاً مسلكه ، مثنياً على من
يقترفه ، فاحترقت الزوجة وكل تلك سمات منفلوطية .

وكما مالج للمنفلوطي أثر الجهل على حياة الشعب ، فقد مالج صلاح ذهني
ذلك أيضاً وجاء بنمط يقرب من أنماط للمنفلوطي .

بمرض شاب وسوء حالته ، ولكن أمه تأتي عليه بأن يذهب إلى الطبيب
مفضلة الوصفات البلدية والأحبة والبغور زاعمة أن ذلك أجدى ميلاً ،
وأحسن ماقبة . ولكن الابن ترداد حالته سوءاً ولا يزيده ذلك إلا وبالا

وهزالا ويتزلف اليها كثير من الناس راغبين في صرفها عما تنوى . ولكن المرأة لا تعيرم أذنا صاغية ، وتركب رأسها وتهزأ بهم ويتصحبهم . وترتقى في أحضان السبالين والمشعوذين . والذين لا يقبون في مؤمن الاولا ذمة . حتى يشرف الابن على الموت ويور مسعاها ورغم ذلك تمسك به جهلا وغها . حتى يموت بين أحضانها زاعمة أن ذلك فرط خزان وانها بعينها هذا تسدي له من المعروف ملا يغهمه غيرها . . وتلك مواقف منفلوطية .

ومن الذين تأثروا بالمنفلوطى فككريا . الأستاذ محمود كامل .

ويبدو هذا الاثر جليا في (العين تبكى) له .

وذلك المسلك مسلك منفلوطى . وقد صور محمود كامل العيوب الاجتماعية تصويرا فيه كثير من الاسى وعرض نماذج لطاقت مربية بين فئات الشعب المصرى . وهى دعوة اصلاحية نادى بها المنفلوطى في أدبه ، وحض عليها في كتاباته مرارا .

كما أهتم الأستاذ (محمود كامل) بالعلاقة بين الرجل والمرأة . مصورا المرأة أحيانا جاهلة أو غنية لا تعرف سوى الاطيان والاموال ولا تهتم لثيها . واما متفرجة تزعم ان المدنية شهوة وعريضة وإماسة الترية لا تجيد سوى الحديث القفرى ، ولا تفرع في غير الافك والموقية .

والرجل إما جاهل لا يعرف ماله وما عليه . أو مغرور يزعم أن الرجولة تحكم وسيطرة أو مخادع يتزلف ومستهل لا يتوقف .

ومن الذين تأثروا فكرياً بمنهج السيد مصطفى المنفلوطي في كتاباته
الأستاذ المرحوم سعيد العريان . في (من حولنا)

فقد أشع فيها الحديث عن التزينة الزائفة والمادفة ، وميز بين الأساليب
النكرة والمستهجية التي تشيع بين الطوائف والطبقات وتحدث عن أثر الشهوة
إذا لم تنظم في دفع الفرد نحو الرذيلة ويتناول أثر الريسة في الأمرة إذ
يروى قصة امرأة منحرفة تدع ولدها وزوجها وترجع في كلاً المحرمات غير
مذعنة الا لشهوتها . ولا ملقية بالا الا لذتها . وبعد أن تفضي لباتها وتقال
بنيتهما ولم يبق فيها مطمع لطامع تقفل مائدة الى زوجها وولدها ولكنها لم
تجد من الاين الا النكران .

وطابع المنفلوطي واضح في تلك الاعمال لسعيد العريان . .

ومن التأثرين فكرياً بالمنفلوطي . الاستاذ المرحوم عبد الحميد جوده
السحار وخصوصاً مجموعته القصصية (همزات الشياطين) ففيها الجانب
الاصلاحى والعزى التهذيبى والمعالجة المنفلوطية

ويركز السحار على علاقة الرجل بالمرأة . ولا سيما تلك العلاقات العشوائية
والتي مردها الى سوء التربية والفهم الخاطيء . والتأى عن الهدى الدينى
والسمت الشرقي .

ومن القصص التي تشهد بأثر المنفلوطي . تلك القصة التي تعكس عن رجل
متزوج يخرج لمارته ويطاردها ، ويحرص بها ، ولا يدع وسيلة الا وسلكها

ولا طريقا الا وصار فيه حتى أدرك ما ينبغي ، وتال جبرته وغدت خلية له
وعلمت بذلك زوجته . فلم تحرك ساكنا ، ولم تبد تأقفا ، ولم تظهر معارضة
وانما تسامحت وصنعت عنه وحاملته .

وذلك غريب على الاخلاق الشرقية ، والعدوات المتوارثة لدينا . وهذا
العمل الواعظ أقرب ما يكون الى المعالجة المنفلوطية .

و كذلك من المتأثرين بالمنفلوطي فكريا . الأستاذ المرحوم أمين يوسف
غراب في (هتاف الجماهير) و (أرض الخطايا) و (يوم الثلاثاء) ونجيب
محفوظ لم يفر من التأثير بالمنفلوطي ، ويبدو ذلك الأثر في مجموعته (همس
الجفون) .

ويعزى نجيب محفوظ العلاقت عن سياجها ، ويكشف النقاب عن
التصرفات التي تجري بين الناس . . فلقد بلغ من انحطاط الخلق وموت
الضمير أن يذهب وصول الى بئس عالية ويحرم منها من يفوقه كفاءة وعلما
وتلك المرأة المنحرفة التي تقترف الاثم سرا . ثم يكشف زوجها فجأة أنها
تخونه وذلك لأنه استيقظ مرة ليلا فسمعها تهذي بحديث الحيانة بالفاظ
المجون .

وذلك الكهل الغني الذي كل مؤهلاته أنه يملك المال . وليس وراء ذلك
من شيء لديه . وتسلو له نفسه أن يقترن بغاة صغيرة زاعما أنه يستطيع
بماله أن يسيطر عليها ، ويحكم فيها ولكن التاة الشابة تلعبها العاطفة

وتؤزها الشهوة المكبوتة ، وتموز بداخلها نواذع الشر وكوامن الحرمان
فقلبي تقسها في أنون الحرام . تعب منه في سرف وتشرب منه شرب الهم .

وتلك نظرة منفلوطية :

ومن أثر المنفلوطي الفكري في الأدب الحديث ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله
عنان في ملحق السياسة قائلا : شقف فريق من كتابنا الأحداث بالكتابة في
الأدب الغربي وأطواره ومناحيه شققا بملك عليهم كل شيء . وقرى لهم في كل
يوم حديثا عن (الفرامنة) و (والرومانترزم) والمذهب الواقعي . أو عن
برناردشو . وأوسكار وايلد . وترجينيف . ودستوفسكي . وابسن . وهؤلاء
الذين يطربهم رنين الأسماء الغريبة والموضوعات الغريبة وهم أقل الناس تزودا
بآداب اللغة التي يخرجون بها مباحثهم ، وهم أكثر الناس جهلا بما يموج به
تراث الغريبة من كنوز البيان والأدب ، وبما يفيض به ثمت كتابها ومفكرها
من الأساتذة في كثير من فنون التفكير والأدب ، فهم اذا كتبوا عن التاريخ
كتبوا عن الثورة الفرنسية أو الوحدة الإيطالية أو نابليون أو
كرامويل ، (١)

ونلقى صدى لأثر المنفلوطي لدى الأستاذ فكري أبانته في بعض ما كتبه
في (الضاحك الباكي) وكذلك في مقال له نشر في ٢٧ / ٣ / ١٩٢٦ بعنوان
(التقليدزم) رصد فيه أنواعا من التبعية ونماذج من التقليد الأعمى ، وعدد
الطوائف التي تهيم بالاورين وسخر من محاكيات أولئك اللاوريين في الطعام

(١) ملحمة السياسة في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢

والشراب وهذا امتداد لما كتبه المنفلوطى عن (أمس واليوم) و (الأدب الكاذب) يقول المنفلوطى « أصبح الرجل في منزله يستحى الحياء كله أن يطلع منه الناس على جهل ببعض مادات الاوربيين حتى في لبس الرداء وخلع الخذاء أكثر مما يستحى من اقوام الناس أن يهجموا منه على أرذل الرذائل وأكبر الكبائر .

ونجد أثر المنفلوطى لدى الأستاذ المرحوم محمد توفيق ديب عندما هاجم الأخلاق المنهارة ، وتار على التقاليد المستحدثة التي تتحرف في عظام الأمة . وكذلك حينما تار على ما أبصره من عهر وغر وخبج وهاجم في شراسة الرقص والحلاوة وحض على أخلاقنا وشرفنا ، وأهاب بأهل الرأي والأمر . ولكن لا حياة لمن تنادى (١)

وإذا كان أدب المنفلوطى يقوم على تقديم غاذج حزينة من المصريين . وجل أبطاله من البؤساء الذين أذلم الفقر ، وأهانهم التربة هذا منظرم يستدر الجمع ويكلم الافئدة الحية . فان تلك الاعمال حاكها المرحوم الشاعر أحمد محرم في قوله .

للقوت يسلب واللباس ، وما حوت	دار الفقير من اللعاف
نام الذى أفنى الخزانين ظلمه	والنار تشهد مصرع السكان
تقموا الشكاة على الحزين فأمسكوا	منا بكل فم وكل لسان
تقضوا الكنانة من ذخائرها فهل	تقضوا جوانبها من الاحزان ؟ (٢)

(١) السياسة الأسبوعية ١٩٢٦/٧/١٩ م (٢) ديوان محرم ج ١ ص ٤٩

وهذا وأدب المنفلوطى يخرجان من مشكاة واحدة والآخر ظاهر بينهما :

وإذا كان المنفلوطى قد جهد نفسه فى التمسك على المصريين حينما أسلموا
قيادتهم للغرب ، وقلدوهم فى كل شئ - وقد قدوة نماذج لذلك . وإذا كان
لا بد من التقليد فلنقلد أجدادنا وما ذاك . إلا لأن أوروبا التى تهيم بها الآن
لم تتقدم وتزدهر إلا بعد أن قللت المسلمين الأوائل وأخذت عنهم . وهذا
للتنهج المنفلوطى رده شعرا المرحوم أحمد الكاشف . قائلا :

وأتم بقايد الحدود أحن من عدى سلوككم مظهرها كان زاهيا
أسركم أن المهادم تستبي ولم تلق فيكم عن حماها محاميا
وان لكم سيفا من الدين ماضيا يقل اذا جردتموه المواضيا
فأحيوا به نهج النهى وجددوا مقاما لدين الله أصبح باليا (١)

وإذا كان المنفلوطى قد سخر من حركات التصوفة وتال منها وبين مدى
بعدها عن الدين فإن الكاشف يسر على ذلك التنهج ويتبع سبيل المنفلوطى
وذلك حين يقول :

هاجـة الوجد لئلا يذكر لله تعالى (١)

مرغيا كالجل العصب إذا حـل عقالا

قلت : هل تبقى بهذا الرقص بآتم اتصالا

قال : هنا خير ما ارتاض به الراجى كالا

(١) المختطف من ٢٨١

ولقد عالج المظلومي موقف العلماء المسلمين الذين تبكوا طريق الرشاد
ورتمو في الضلال والتي ، وصرفوا همومهم الى الدنيا ، فذاع المنكر ،
واقتشر الفساد واخفت السنة وراجت البدعة . وهذه المظلومية نظمها
الكاشف شعرا تحدث فيها عن الترهات والادهام . والقهم الخاطي للدين الله .

اذا لاقوا الاطباء استاذوا وخاضوا في الفنون البيئات
وعلوا في منازلنا دعونا فان الموت في المستشفيات
وان لنا من الرايت عنكم غني لعلاجنا ، ومن الرقة
ولولا عقلة العلماء منهم لما تركوا الوسوس غالبات

اذا استنصهوا ظفوا استصنوا بصير ، واخضعوا للكارثات
نرى ان لافرار من المتايا فتهزأ بالهواء وبالأساءة
وبالعدي وان تقوموا علينا سوى وهم النفوس الحائرات
وان تلك قمة فقد احصينا بأسرار البخاري الشافيات
وان لنا على الله اعتمادا وأسبابا اليه واصلات

وكم تباطف المظلومي مع البؤساء ووقف مع الذين تاصبهم البعر العلماء
والمالغ عديدا من القضايا الاجتماعية - كما بينا في الباب الثاني - فالسارق
المسكين الذي تمتد يده - وهو مضطر - يدخل السجن والسارق الغني ذو
المكانة التي تمتد يده يكافي وييجل ، وأثار ذلك المظلومي فكذب عن
(العص) الذي يزوج به في غيابة السجن ، وتضوّر بطن زوجته ولا يجد

أولاده من يعولهم . فيما يترع السارق الخفي في كلاً مباح من الرغد ويعيش في بلنية . ولقد أخذ هذا المعنى (سليم عنجورى) فقال عن الصن

لزم الصنن زوجها ورجال البنى فازوا بسؤدد وعلاء

والصنن الكبار صاروا قضاة والصنن الصغار أهل الشقاء

سلبوا المال وشوة واستباحوا المرض جهرا وم من الظلم

١٩٠ ولقد وفق الأستاذ عباس خضر حيناً قال عن المنفلوطى :

وفي أدبه لمحات قديمة قديمة ، إذ سبق بها دعوات الى الإصلاح أنهت بعده وتحقق أخيراً ما تدعوا اليه ولقد توم لنيف من الأدياء زاعمين أن أدب المنفلوطى ليس الا صياغة وتركيا ولم يعالج من قضايا المجتمع شيئاً . وساروا وداء سراب من الخلداع ولكن أدب الرجل حتى تابض طالج مشكلات وتعمدى لما يضع مجتمعه وأثر تأثيراً كبيراً في الفكر الأدبى الحديث في العالم العربى .

ولربما خدع بعض من لا يفتقدون الى لباب الأمور ولما يقتنعون باليسر من ظاهراً الأمر . ربما خدعوا بك تلك النماوى العريضة التى يروج لها أصنام الأدب وغرائق الثقافة .

ولعل من أشهر الاصطباات ما يزعمون من أن أول من نه الى ضرورة توظيف الأدب واستخدامه فى الوعي الاجتماعى انما هو الأستاذ سلامه موسى . وقد يكون ما دفعهم الى هذا اليوم ، وحنانهم الى ذلك للمعقد قول الأستاذ سلامه موسى .

(١) القصة القصيرة فى مصر من ١٩٠٤ الى ١٩٦٦ - ١٩٦٦

(أن أول واجبات الأديب في مصر أن يخدم أده أو فنه المجتمع بأن يدعو إلى الإصلاح (١) أو قول الأستاذ توفيق ميخائيل .

أنه أجدى على الأدب وخير للاديب أن يقصد إلى الفائدة لا إلى التباهى بالقدرة) ونحن نتقدم جانبنا أن هذا الكلام مأخوذ من أدب المنفلوطي ومتأثر به وما ظنك برجل لم يكن يرمى إلا إلى النفع ولم يشرع القلم إلا ليغير ولم يكن منشأ مترسلا كما يتهم .

وإنما كان صاحب اتجاه وفكر (فانا إنما أكتب للناس لا لأعجبهم بل لا نفعهم ولا لاسمع منهم أنت أحسنت بل لاجد في نفوسهم أرا مما كتبت (٢) وحرى بأديب هذا منهجه أن يكون ذا تأثير ولم لا ١٢

وهو يدرك فداحة الخطب ويستشعر قتل التبعة ويؤمن برسالة البراع .
ويقدس الهدف النبيل الذي تصنعه الكلمة الراشدة والمجلة الهادفة المطمئنة .
وماذا تنتظر من رجل يقول :

(أن في أيدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الأمة وديعة يجب علينا تعهدها والاحتفاظ بها والحدب عليها حتى تؤديها إلى اخلافنا من بعدنا (٣) .

(١) السياسة الأسبوعية في ٦ / ٤ / ١٩٢٩

(٢) النظرات ج ٢ ص ٥١

(٣) النظرات ج ١ ص ١٢٠

وهكذا كان المنفلوطي قلعاً تنجبه إليه الانظار وكان أدبه مرآة صافية
مكس الام وآمال أمته ورأى فيه أرباب القلم صيماً خصياً فصبروا أنفسهم
ليه وعكفوا ينهلون من مورد عذب .

وقلنا حمل أديب قلنا الا وتأثر بالمنفلوطي في معالجته وكتابه .

وكفى بذلك دليلاً على تأثير الرجل في الفكر الأدبي الحديث .

الفصل الثاني

أثر المنطوطى أسلوباً :

يمتاز المنطوطى فى أسلوبه بجمال العبارة وموسيقية الجملة وعذب وقع الألفاظ فى الأذن وسهولة التزديد فى اللسان ، هذا إلى الفصاحة والبيان والبلاغة .

ولاقط طريقة المنطوطى من الرواج فوق ما تمنى وغدت سمعة لكل من يصحرك بين أصابعه اليراع ومنزماً برومه طاشق اليان ، وطالب الإعراب والإبانة ..

وغدا المنطوطى بذلك قطعاً تهوى إليه الأنثى وطماً ترنو إليه العيون فى إكبار وإعجاب وإذا كان شوقى قد أصبح العلم فى الشعر فإن المنطوطى قد تزعم النثر وسيطر على اتجاهه ومنعاه ، حتى غدت له طريقته التى عرفت باسمه وأصبح المنطوطى علماً البارز (١) .

وغدت طريقة المنطوطى وسيطرت على الكاتبين فى الأدب الحديث ، وقد استرعى ذلك نظر العقاد إذ رأى جميع طلابه يكتبون على نمط المنطوطى (٢) .

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر من ١٧٤ د أحمد هيكى دار المعارف سنة ١٩٦٨ م .

(٢) مجلة المجلة العدد ٧٠ سنة ١٩٦٢ تحت عنوان (المنطوطى كما عرفه) .

وطريقة المنطوطى تلك قد جرت عليه - كثيرًا من الخصومات الأدبية ،
والعلاقات التى احدثت حيناً ولانت أحياناً ، وتركز الهجوم فى نقطتين ،
طريقة الصياغة وما فيها من تكلف ، وموضوع أدبه وما يعالجه .

وصوبت السهام إلى المنطوطى ترميه بالتكلف اللفظى ، والجبرى خلف
رصانة الأسلوب ، ويريق الصياغة وجولة العرض . وجعل النقد ذلك عيباً
فى طريقة المنطوطى وقد نسوا أن « الذى يمتاز به الفنان الأدبى على غيره هو
الإحساس اللفظى وآية ذلك علمه بما تستطيع الألفاظ أن توحي به وحياً
وهذا الإحساس اللفظى هو كذلك الذى يميز الفارسى الذى يندوق
الأدب » (١) .

وإذا كان المنطوطى قد غنى بالصياغة فليس ذلك بدءاً فى الأدب العربى ،
إذ اللغة العربية لغة موسيقية وحروفها ذات رنين وجرس ، ولنا فى تراثنا
كتابات تترى على حرف لفظى على أوتار الصياغة . والأب الفرنسى مثلاً فيه
من اهتم بالصياغة والأسلوب يقول Chateaubriand شاتوبريان « لا تحيا
الكتابة بغير الأسلوب ومن العناء الباطل معارضة هذه الحقيقة فإن الكاتب
الجامع لأشتات الحكمة يولد ميتاً إذا أعوزه الأسلوب .

وجوستاف فلوبير Flouper كان لا يكرر صوتاً فى كلمة ولا يعيد كلمة
فى صفحة .

ومن أشد الأدباء هجوماً على المنطوطى د. طه حسين والأستاذ إبراهيم المازنى .

(١) قواعد النقد الأدبى - ابرو كى . ترجمة د. محمد عوض محمد من ٣٩ .

أما المازني فقد تناول المنطوطي وأسلوبه في « الديوان » وكتابه غير
مبارة ، وحملته غير خالصة لوجه النقد . إذ سد المنطوطي على المازني السبيل
وكان عقبة في شهرته . ويقرر لنا الأستاذ أنزلت مرتك الحملة التي اضطلع
بها الأديبان الكبيران العقاد والمازني من وجهة نظره . مرجعاً ذلك إلى
الحسد والموجدة . فلقد استحوذ شوقي والمنطوطي على ألباب القراء ، وسيطروا
على طامى الشعر والنثر « صاحب الشوقيات بشعره الرائع وصاحب النظرات
بنته الينخ . ولكنهم - المازني والعقاد - كانوا أصحاب معول ومسطرين
يهدمون بالنقد والثاب والتجريح » (١) .

أما الدكتور طه حسين فقد تناول المنطوطي في أوائل القرن الحالي ،
وإنما دفعه إلى ذلك التهمم والنقد صلته الحميمية بالشيخ عبد العزيز جابوش .
فلم يكن نقد الدكتور طه خالصاً كذلك - لوجه النقد . وإنما كان مجاملة
لرجل له على الدكتور الفضل الكبير . . . وها - المازني ود . طه حسين .
بعد ذلك من الذين تأثروا بالمنطوطي أسلوباً ، وليس ذلك بالأمر الغريب .
لأن المنطوطي كان ذا مكانة توغر صدر الشائين وذا أسلوب يقبل عليه
النشء إقبالاً لا نظير له . . . والحق أن المنطوطي كان قائم مدرسة عملت على
الخلاص من السجدة واعتلت إلى صفاء العقل ونور الديباجة ، وقد أشرقت
على العالم العربي إشراقاً أخذاً . فأخذ النثر على يد المنطوطي يحمل عمل الشعر
في روعة التأثير . وقوة الإحساس وصفاء الروق » (٢) .

(١) وهي الرسالة ج ٣ ص ٢٨٩ ط ٣ تحت عنوان (رحم الله المازني) .

(٢) مجلة الأدب البيروتية يوليو سنة ١٩٧٥ د . محمد رجب الليبوي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .

وبرسشرق انجليزى ان كتابات المنفلوطى « كانت بمثابة الوحى
يهبط على جمهور تعود قراءه أدب الكلفة والتصنع . وقد انتشرت طريقة
المنفلوطى انتشارا واسعا بين قراء العربية من بغداد الى مراكش . كما كانت
تمثل الشعور الذى تردد صدىه فى العالم الإسلامى أبلغ تمثيل » (١)

أثره فى الدكتور طه حسين :

لأسلوب المنفلوطى أثر لا ينكر لدى الدكتور طه حسين وإن كان د طه
لم يعترف بذلك لكن الاستقراء والتتبع يوقفتنا على ما بين أسلوب الرجلين من
المشاكله والترابط . فالمجلة القصصية والتكرار واختيار الكلمات والعناية
بالصيغة أمر مشهود ومقرر لدى الأديين . ولنا نزع أن كل أديب يعنى
بصيغته إنما تأثر بالمنفلوطى ولكن الدكتور طه حسين تجاوز ذلك حتى قال
بالتأثر بعض الدارسين . والذى يقرأ مقالات الدكتور طه حسين فى بداية
هذا القرن . يجد الأسلوب المقتصد فى الجمال . المعنى بالفكرة ، الرامى الى
التصير المباشر السريع . ومن هنا هاجم د طه حسين بعض الكتاب الذين
يكلفون بالصياغة ويهتمون بروق العبارة من أمثال الراضى والمنفلوطى
وصادق غير . وشكيب أرسلان . والبشرى .

ثم التقينا الدكتور يعدل عن ذلك الأسلوب ، ويتعوا نحو التأتى والجمال
ويقتن فى عبارته . ومن كتابه التى تأثر فيها الدكتور طه حسين بالمنفلوطى

(١) مجلة الرسالة ١٩٤٠ / ٢ / ٢ تحت عنوان (المنفلوطى فى رأى
مستشرق انجليزى)

(الأيام) في بعض لوحات وقترات . (على هامش السهرة) في الوصف والمزج
و (القصر المسحور) في رنين الالفاظ ، وموسيقى الكلام وترنيمة الصياغة
و (أحلام شهر زاد) في المبالغة ولا يقال ، والجنوح الى الخيال الجامع ،
والاهتمام بالسيطرة على قواد القارئ . وكثير من كتابه القصصية . ومقالاته
الانطباعية . ولا سيما اذا ترك لفته الحرية ، وافصح ليراعه المكان ، ولم يحده
بحواجز مصطنعة ولم يجعل بينه وبين سجيته .

وموضوع تأثر الدكتور طه حسين بأصوب المنفلوطي موضوع طويل
ومتشعب يحتاج الى مزيد من جهد ومدد من تأمل وروية . ثم هو - بعد
ذلك - موضوع طريف جدير بالاهتمام والتناول .

واذا كان المنفلوطي يجنح الى المبالغة في الوصف حتى يقترب من الايفال
فإن الدكتور طه حسين يصنع ذلك الصنيع . ويفعل ذلك العمل في شهر زاد
لما فعل السحر لدى شهر يار (مضى يدها رفيقة في شعر رأسه فبعت في
جسمه طمأنينة وهدوءا . وفي نفسه أمنا وراحة وروحا) (١) فلا يمكن
د . طه حسين رحمه الله بالطمأنينة حتى يقرنها بالهدوء . ولا يفتن بالأمن وإنما
يضيف اليه الراحة والروح . وما ذلك عن مبالغة المنفلوطي . ولا سيما في
نظراته يمين . .

ولم يقتنع د . طه حسين بما قال عن شهر زاد وإنما يبالغ أكثر ويسير
على النمط المنفلوطي « وهل شهر زاد آخر الأمر الا قوة متسلطة عليه .

(١) أحلام شهر زاد من ١٠٥ سلسلة أقرأ دار المعارف العدد ١

تصرفه كما تريد . وتدير أمره كما تهوى دون أن يستطيع امتناعا عليها أو أباه . كذلك اتفق شهر يار نهاره الاول كالطفل خانعا لسلطان امه الخنون تأمره فيأتمر وتنهاه فيتهدى واجدا في ذلك اللذة كل اللذة . والتعيم كل التعيم وكانت شهر زاد رفيقة به الى أقصى غيلت الرفق . محبة له الى أبعد آماد الحب « (١)

واذا كان المنطوطى يكثر من المترادف ويحذف الجمل ذات المدلول الواحد على مثلها . ولنا قيل عنه انه منشىء وليس بكاتب (٢) فان الدكتور طه حسين يسلك سبيل المنطوطى ويهتم بهدير الالفاظ وعجيج الكلمات ، كما قيل عن المنطوطى .

يصف الدكتور طه حسين البحر . فلا يخرج عن النمط المنطوطى . وانما يحذيه فالحلة القصيرة والمعنى المترادف . واختيار الالفاظ الى البالغة . واثارة الشعور كل ذلك تجده في قوله « يثور ويمور » . ويهيج ويهوج . ويرسل في الفضاء أصواتا منكرة . كأنما تمزق عنها أمواجه تمزقا ولكنه على ذلك لا يبلغ شيئا . ولا يستطيع أن يمس الأرض بأذى « (٣)

والعبارة تحتفظ بالمحسنات البديعة ، وفيها المفعول المطلق وهو من الأمور

(١) أحلام شهر زاد ص ٤٦ سلسلة أقرأ . دار المعارف العدد ١

(٢) مراجعات في الأدب والفنون للمقاد المطبعة المصرية ص ١٧٠

(٣) أحلام شهر زاد ص ٨٦

الى أخذها للآزنى على للتغلوطى (١) والتغلوطى كم قص علينا من حكايات الحب، وروى لنا عن البؤساء الذين كانوا يهرون من الغرام لأنهم لم يخلقوا له - فى ظنهم - وانهم كانوا يوارون بين العشق وسلطانة ومحاولون التفكك منه . لأنهم يشعرون بالحياة والمجل والحشية . تلك الصورة وذلك الاسلوب يكرره طه حسين مرارا . ويكتب به كثيرا ، يقول عن شاب يحب فى اسلوب متغلوطى مقل بالمبالغة . « ولكن حبه كان يستصحب حتى من نفسه فينكرها ، وكان التنى يخفى شعوره ذاك فى أبعد ما يمكن أن يستطر من أعماق ضميره . ويكره أن يصعدت به الى نفسه . وقد أستيقنت أنه لم يخلق لثل هذا الشعور . وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له . وأين هو من الحب ؟ وأين الحب منه ؟ » (٢) والتنازع التغلوطية لدى طه حسين كثيرة وفيرة ولكننا نبين فقط التأثير ولا تتبع الظاهرة . والا فذلك يحتاج الى مؤلف يقف عليه وحده .

وإذا كان للتغلوطى كثيرا ما يدير الحديث حول نفسه ويدخل فى سياق العمل التنى فإن الدكتور طه حسين ظالما فعل ذلك . فيقول فى أثناء العمل « وقد يظن القارئ أنى قد أسرفت » (١) أو قوله « انى واتق بأن القراء جميعا علماء » (٢) .

(١) الديوان ص ١٠٤ ط ٣ دار الشعب القاهرة .

(٢) الأيام ج ٣ ص ١١٥ .

(٣) للعدوبون فى الأرض ص ٨٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٩ .

« وأنا أريد أن أكون دائماً - كأننا ذا خطر فأرضي قرائي واستغفرتهم » (١)

« وقد يجب القارئ أن يعرف كيف عبث بهما الأصل ؟ » للمذبول ص ٦٤ .

« وهنا ليس يحتاج القارئ، فيما أظن إلى أن أمضى به في هذا الحديث الخفيض إلى غاية » المذبول ص ٦٠ .

القارئ لا يمكن بهذا « أو فقد ينبغي أن يعرف القارئ - الآن أن قد كانت » كل ذلك أو غيره . تأثر متفوطي ومن العجب أن التقاد عابوا على المتفوطي ذلك ، لكن د . طه حسين رغم هذا لم يعلم منه وإنما أكثر أن لم يكن بالغ وزاد .

وإذا كان المتفوطي يثير الشفقة على أبطاله ويستدر لهم النعم ، ويقف بجانبهم وإذا كان أبطاله لا حول لهم ولا قوة لا يحركون ساكناً ولا يملكون شيئاً فكذلك أبطال د . طه حسين يهرون الشفقة ولا يملكون غير المسكنة والبؤس . يصف الدكتور بطلة من أبطال قصصه قائلاً :

« كانت أم قطام قصيرة مسرقة في القصر ، متعينة مسرقة في الانحناء ، همت ظمئها بأن ترقع في الجوف ثم تستلح أن تستقيم ، وإنما تطف أعلامها على أسفلها كأنها خقت لتلتصق بالأرض الضعفا . . وكأن صوتها نعيلاً ضئيلاً . وكانت قد فقت بعض أسنانها . فكان صوتها التحيل الضئيل

(١) المرجع السابق ص ٨٣

يسمحيل (١) اذا تكلمت الى هواء خافت لا يكاد السامع يميز حروفه الا في مشقة وجهده ، وحتى اذا تركد طه حسين المعالجة الفنية وأخذ في الكتابة الاجتماعية يتقد بعض التصرفات ، ويحمل على مظاهر الانهيار والضياع . فاقبما يسلك سبيل المنفلوطى ويعالج المشكلات بأسلوبه الأخاذ . لا أسلوب العالم الاجتماعى . وبطريقته المؤثرة التى تلج وتدخل النفوس . لا طريقة الباحث الذى لا يعرف غير الحق . ولا يحول على سواء . يقول :

« ويقبل العبد فاذا المرقون مقبولون على عيديم كما أقبل عليهم عيديم لا يشعرون بأن مئات من الأسرى مئات من المدن والقرى قد كانت تنتظر العبد كما كانوا ينتظرونه وتتشوق اليه . أكثر مما كانوا يتشوقون اليه . وأرسل اليهم الموت نالبا عنه . وأرسل اليهم مع الموت حشرات وعبرات وزفرات . وأرسل اليهم مع هذا كله شقاء ملحا . ويؤسأ مقبياً (٢) والدكتور طه حسين كلف بالوصف الحمى والعناية بالمدرجات المختلفة ، ولا يترك الظاهرة حتى يستقصى لونها وشكلها وجرمها . وهذه طريقة المنفلوطى فى الوصف . وقد أخذ عليه المازنى هذا « ونعود الى صاحبكم المنفلوطى - وما أهول هذا المنصدر - فنقول . . بحسب المنفلوطى ان تكلف التفصيل فى المحسوسات مظنة الاجادة . وفاته - وانى له أن يفهم - أنه لا يعجز أحدا أن يقول لك هل فلان هذا الذى تراه طويل أم قصير ؟ ونحيل أم بدين ؟ .. وانما هناك القدرة فى تصوير حركات الحياة والعاطفة المقددة .

(١) المذبذبون فى الأرض ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩١ ، ١٩٢

لا ظواهر الأشياء وقشورها وفي رسم الاتصالات والحركات النفسية، واختلاج الحواجب وما هو بسيل ذلك، أما تفصيل المنطوطى فلا خير فيه، بل المحر في اجتنابه وتحاشيه (١).

ولقد لاحظت دكتورة سهر القلداوى اهتمام د طه حسين بالوصف الخارجى واعتماده على حواس معينة، وإصراره فى الاعتماد أحياناً (٢).

وليس فى تأثير د. طه حسين بالمنطوطى فى الأسلوب ما يشير الحيرة فلقد كان للمنطوطى علماً بارزاً وكانت طريقته تستعوز على الأفتنة وتمتلك الألباب. ولقد أشار أحمد حسن الزيات إلى أثر مقالات المنطوطى على د طه حسين الطالب الأزهرى (٣). وبعض أبطال قصص د. طه حسين معذولون سايون، فانعون بظلم الدهر وجور الأيام لا يتصفون ولا يتورون، وذلك واضح فى (العذيون فى الأرض) و(دعاء الكروان)، فان هذا أسلوب المنطوطى فى أبطاله، وصنيعه فى رجاله (فكلهم أناس يكى عليهم لأنهم مخذولون يتكسرون، أو مضيعون فى ذمم اللثام وقرنا. السوء، وقل منهم من هو مسئول عن خيته، أو ظفر على إنصاف نفسه والاقتصاص لها بمن يبنى عليها) (٤).

(١) الديوان ص ١١١ ط الثالثة.

(٢) ذكرى طه حسين ص ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، سلسلة أقرأ العدد

(٢٨٨) دار المعارف.

(٣) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٦ ط ٦.

(٤) رجال عرفهم ص ٦٥ العقاد.

ولقد أشار إلى تأثير د. طه حسين بأسلوب المنطوطى بعض الدارسين
تذكر منهم الأستاذ أنور الجندي ، أشار إلى ذلك في كتابه (أثر العربي
المعاصر) ص ١٩٣ و (أثر النساء في حياة الأدباء) وذلك في قوله : « أثر
أسلوب المنطوطى يبدو واضحاً في كتابات طه حسين (١) » .

وكذلك الأستاذ صلاح عبد الصبور — الذى يختلف معه كثيراً —
أشار إلى ذلك التأثير حين قال : « كان في أسلوب المنطوطى إشراق لمعان
لا تكاد تجد ما يعادلها إلا في أسلوب طه حسين من بعده » (٢) .

وبهذا يتضح أثر المنطوطى في أسلوب الدكتور طه حسين بكثير من
الإيجاز ، وإن كان الأمر يحتاج — كما قلت — إلى دراسة متأنية ، وصبر جميل .

أثر المنطوطى في أحمد حسن الزيات :

بدأ أثر أسلوب مصطفى لطفى المنطوطى واضحاً جلياً لدى أسلوب
الزيات ، إذ انتقلت خصائص المنطوطى إليه ، واجدد الزيات عن المأخذ
التي أخذها النقاد على المنطوطى ، غلا أسلوبه من كل سيرة ، وتنزه عما يشين
وتحلى بسمات الأسلوب الممتاز للمؤثر . . .

ولستأ — حيناً — زعم تأثير الزيات بالمنطوطى في الأسلوب — نبحث إلى الإبداع

(١) أثر النساء في حياة الأدباء ص ٩ أنور الجندي ط . دار الإعلام .
القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

(٢) ماذا على منهم للتاريخ ص ١٥٩ صلاح عبد الصبور .

ونفيل إلى إطلاق القول ، وإرسال الحكم فقد غدا ذلك أمراً مقررأً ، وحكما مقبولا ومردداً .

ولعل أول ما يثبت تلك الصلة ، ويعرب عن التأثير ما قاله الزيت في وحي الرسالة عن أثر مقالات المنفلوطي على نفسه وهو طالب مجاور في الأزهر .
« والزيت مأخوذ بروعة الأسلوب فلا ينس ولا يطرف » (١) .

ومعنى هذه العبارة يدلنا على مدى أثر المنفلوطي في نفس الزيت ، حتى أنه لمن الممكن أن يزعم المرء بأن الزيت أكثر الأدباء المعاصرين تأثراً بالمنفلوطي في صياغته وأسلوبه ، وأدب الزيت خير شاهد ، وكتاباته أظهر دليل ، وحي الرسالة للزيت امتداد لأدب المنفلوطي ، وبعت له ، قفيه التيسيق البياني ، وروعة الأداء ونقمة المحلة وتساوق المقاطع واستخدام المحسنات في مهارة ورشاقة ، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول بأن مقالات الزيت وأدبه فيها وفرة العناية بالإطار وشدة رعاية جانب الشكل ، حتى يقل الزاد الفكري فيها ، ويضاهل المضمون بها في كثير من الأحيان . ولكنها تبقى - رغم ذلك - باهرة بإشراق صياغتها ، أخاذة بزوعة يسانها ، هذه الروعة التي تجعل منها في بعض الأحيان شيئاً شبيهاً بالشعر ، وخاصة في الموضوعات العاطفية والوصفية (٢) .

وما « دفاع عن البلاغة » غير نقشة منفلوطية ، فإذا كان المنفلوطي قد دافع

(١) وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٦ ط ١٩٥٧ مكتبة النهضة .

(٢) تطور الأدب الحديث ص ٤٣٦ د. أحمد هيكل .

عن الأدب في بعض كتاباته فإن الزيت قد تصدى لجحافل الأدياء الذين
يجردون الكتابات من الفن ، ويحسونه ضرباً من الحديث اليومي المهاد
ففي استطاع الإنسان أن يتكلم فيوسعه أن يكتب ... وتلك فرية قضت
مضجع الزيت وهو النغم الذي يطرب حين يكتب . ويشجى حين يفتن .
ويؤثر حين يسترسل .

وقد أدرك ذلك الأستاذ زكي للهندس فقال :

« هذا الأسلوب القوي الرصين قد افتقده الأدياء بعد وفاة المنفلوطي وكان
عليهم أن ينتظروا عشر سنوات كاملة حتى ظهرت الرسالة . وكتب الزيت (١) .

وأثر المنفلوطي لدى الزيت أظهر من أن يحتاج إلى دليل ، ولا تستطيع
أن تأتي بنموذج من أدب الزيت لجل أدبه منفلوطي الزرع والأسلوب ، وقد
لمح ذلك الأستاذ سيد قطب فقال عن الزيت :

« هو صاحب مذهب التنسيق العميري ذلك للمذهب المنفزع عن
المنفلوطي (٢) .

والزيت عندما يبالغ موضوعاً يصعد عن العاطفة والوصف فانه ينهج
نهج المنفلوطي أيضاً ، ولا يصعد عنه كثيراً ... يصعد الزيت عن الدين
وضروته وأهمية تعليمه في قلوب النشء ، وغرس مبادئه في نفوسهم ، فكان
الإنسان يقرأ للمنفلوطي « الدين هو الطب الجيد لأدواء المجتمع ، فلذا

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٤ ص ٣٢١ .

(٢) كتب وشخصيات ص ٢٧٣ ط بيروت .

غرستموه في قلوب النشء وقوتموه في نفوس الشباب ، جعل الأمة أسرة
 متماسكة البناء ، متضامنة الأعضاء ، يعين سعيدها الشقي ويحمل قدرها العاجز ،
 حتى يقطعوا مراحل الحياة رافقين لا يمسهم نصب ولا تعب في بينهم عداوة (١)
 وقد بينا في الباب الثاني موقف المنفلوطي من الدين ، وما ذلك القول
 عنه يعيد .

ويكاد الزيت ينطق بلسان المنفلوطي حينما يكعب معالجا الفقر ، والضائقة
 التي تطعن المجتمع . . فهو يفكر أولى الأمر أن يبالغوا في فقر بما حاله الله ..
 فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان ؟ .. انهم ان يفعلوا ذلك لا يجدوا (٢) في
 البيت مائلا ، ولا في الطريق سائلا ، ولا في المواخير ساقطة (٣) ، أما الأدب
 الوصفي والانطباعي فالأثر لا يحتاج إلى أكثر من تقديم مثال واحد فيه غناء
 لمن عي في نفسه شك من هذا . يقول الزيت :

« منذ أيام توقفت الطليعة من رقدها الطويل ، وأخذت تنضج جنينا
 الوستان بأنداء الربيع ، وتبحث عن حلالها وحلاها في خزائن الأرض ،
 وتأهب كل حي ليحتفل بشبابها العائد وجمالها للنبوث ، فالحياة الهامدة تنقش
 في الفصون الذائبة ، والطيور النازحة تعود إلى الأعشاش المقفرة ، والافئان

(١) وحى الرسالة ج ٢ ص ١٢

(٢) لعل تصويبها فلن . . . أو (لا يجدون) .

(٣) وحى رسالة ج ٢ ص ٣

السلبية تنفطر بالأوراق النفضة، وبارض (١) النبت يحول على أديم التوى أخواف
الوعي ، (٢) .

وأدراك أثر المنطوطى لدى الزيت لا يكلف عناء ، وإنما يلحظه من عنده
نصيب من الادراك ومقدار من التميز ، وما ذلك على الأدباء عزيز .

تأثير عام :

قد يكون من قبيل الاسراف أن تتبع أثر المنطوطى لدى كل أدب يجود
في صياغته ، ويهتم بعمله . وذلك يخرج بالبحث عن الحد المقتصد الى حيز
الاسراف والتجاوز ، ومن هنا فلسوف نحجم عن الاستقراء والتتبع . ولن
تدفعنا العصبية للمنطوطى الى القول الذى لا دليل عليه .

وإذا كان بعض الباحثين يرى للمنطوطى أثرا على كل من الراضى وطه
حسين والزيت . والبشرى (٣) فذلك أمر مرده الى الاعجاب الذى يدفع
الى المبالغة .

فبعد العزيز البشرى لم يتأثر بالمنطوطى . لأن طريقته لا تشاكل طريقة
المنطوطى واسلوبه ذو خصائص يعرف بها . قد يكون منها جمال الصياغة ،
ولكنها ليست جل ما فيه ، ولا تقترب من النمط للمنطوطى .

(١) البارض : أول ما يخرج الأرض من النبات

(٢) وحي الرسالة ج ١ ص ١٤

(٣) (أثر النساء في حياة الأدباء) لأنور الهندى وكرر هذا في كتابه

(النثر العربى المعاصر) .

أما مصطفى صادق الرافعي . فأول أثر تثرى له ظهر في مؤلف فهو « حديث القمر » وكتبه حين كان المنفلوطي يكتب مقالاته في التأييد . فهما متصانان . وأذن نظر في حديث القمر يقطع باليون الشاسع والفرق البعيد بينهما . جملة الرافعي لها خصائص تركيية تختلف كثيرا عن أسلوب الجملة المنفلوطية . واستخدام اللغة أشد اختلافا وان كان أعرب عرية لدى الرافعي .

ولقد تأثر بالمنفلوطي في أسلوبه كثير من الأدباء في الأدب الحديث ومن الصبر حصرم جميعا . وان كان من الممكن ذكر بعضهم ولا سيما من كان التأثير لديه ظاهرا . ومن أولئك . محمد سعيد العريان . ومحمد عبد المنعم خلاف وكليل الشناوي في كتاباته النثرية ، حسين غيف ، محمد زكي عبد القادر ، وطاهر لا شين ، ومحمد عبد الحليم عياد ، ومحمود تيمور ، وسيد قطب والدكتور الشيخ أحمد الشرباصي ، وقصي رضوان ، ود محمد مندور ، وكثير من أرباب القلم وأولى البيان .

أما أثر المنفلوطي في العريان . وخلاف و الشناوي وتيمور . ومن لف لفهم فامر واضح . وكتاباتهم تتم عن ذلك ، وترب عن التأثير في غير ما موارد ولا استحياء . أما الدكتور محمد مندور . فلقد كنا نرتاب في ذلك . غير أنه أعترف بتأثره بالمنفلوطي . وأعلن ذلك على رهوس الاشهاد (١) وأعلنها في جريدة دائمة .

وإذا كان المنفلوطي قد أثر في العديد عن حمة القلم فليس ذلك غريبا عليه .

(١) صحيفة الجمهورية ١٦ / ٨ / ١٩٦٢

لانه العلم الخفيا في الحياة الأدبية . ولقد كان يصدر العمل المفرد فتهتز له مصر ويهيم به كل قلب . « وسرمان ما أصبحت رواية الشاعر المنفلوطي شيئا لا تقي عنه في حياة مصر (١)

وأديب له ما للمنفلوطي من مكانه لا بد وأن يكون له تأثير كبير والدراسات والشواهد تضي بأثر الرجل على الادب الحديث في الأسلوب . فكيفه التي ما زال تتداولها الايدي ، وتهم بها الاذواق ، ويشتقها أولو النهى وتعدد طبعاتها . والدراسات التي تكتب عنه بين القينة والقينة . ولقد أتى على المنفلوطي حين من الدهر كان المثل الأعلى للبلاغة والفصاحة . . وكان المعلمون ينصحون كل من يأنسون لديه بشائرا استعداد أدبي ويوقعون منه خيرا ينصحونه بأن يحفظ المنفلوطي ، وتربي على أدبه وكتاباته .

وليس من قبيل الخدس والرجم بالغيب أن قول العقاد
« كانت الوصية الاولى لطالب الانشاء عند اساتذة اللغة العربية باجماع الآراء . اقرأ المنفلوطي واكتب على مواله (٢)

ولا بدع في ذلك فالمنفلوطي أوسع الادباء العرب شهرة وأسمى حديثا ، وأجدم أنرا وليس ذلك القول مرده الاعجاب الذي يدفع الى التحيز ، وإنما الانصاف الذي مصدره الامانة ولقد اعترف بذلك طام فاضل هو

(١) مجلة الثقافة (العدد) ٢٨ ص ١١ الاستاذ أحمد حسين .

(٢) المراجعات ص ١٧٨

الاستاذ أحمد شاكر الكرمي . حين قال عن المنطوطي « أوسع الكتاب
المعاصرين شهرة » (١)

وإذا كان الادب العربي الحديث قد حظي يساقه من الذين يجيدون
التحجير ويضوقون في صناعة الكلام . وإذا كان فيه من الاسماء الدائمة ذات
الشهرة والحظوة فوق القليل . فإن الدراسة المتأنية المتألصة من كل ما يشوب
الابحاث من انهاء أو تحزب تشهد للمنطوطي بطور الكعب وارتقاع المتزلة
وصحوق المكاة . ولذا فقد أصاب المستشرق . كارل بروكلمان في قوله .

« انه أشهر كتاب المقالات في القرن العشرين »

وبلغ من تأثيره في الادب أن كاتباً باحثاً في مكانة الدكتور زكي مبارك
لا يلجأ في كتابه عن الامدى الى المراجع القديمة . وإنما اعتمد على المنطوطي
في مختاراته . ونقل النص الذي أنجته المنطوطي للامدى . واعترف الدكتور
زكي مبارك بذلك في كتابه (النثر اللقى في القرن الرابع الهجرى) (٢)
وغدا المنطوطي مثلاً يحذى ، وقدة يجتدى بها . ولم يقتصر أثره في الادب
على النثر . وإنما أثر بشعره في القراء . فخليل دوس يلقي في الكنيسة الانجيلية
بغالية لبنان عقب صلاة الاحد قصيدة المنطوطي في بول وفرجينى (٣)

لكل ذلك كان المنطوطي من أوائل الإدياء المصريين الذين عينوا أعضاء

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق (السنة الرابعة) سنة ١٩٢٤

(٢) النثر اللقى ج ٢ ط الدار القومية .

(٣) الكواكب والمواكب ص ٤٥ محمد محمد عبد الحميد .

بجمع دمشق العلمي ورغم الحملات الطائشة التي صوبت سهامها مسمومة الى
أدب الرجل فان المنفلوطي ظل - وسيظل اللحن العربي الذي يعزف فيثير
كوامن النفس ، ويترنم فتصدح الكلمات بأعذب المعاني ، وصدق شفيق
جبري حين قال في رثائه .

أمير البيان ورب القدر بكت لهدوءك آي السور
مشى وتراعى اليك البيان يبتك من أمره ما أسر
تفلن وحيك في القوطين ودب الى كل قلب أنسر
فلم تفجع النيل من دوتنا ولكن فجت بقايا مضر

وعسى أن أكون قد وفقت في كتابة شيء عن ذلك العملاق الذي أثرى
أدبنا العربي وملا وجداننا وأحيا الجملة القرآنية في وقت تجمعت فيه نذر
الشر . وتهاقم فيه الخطب فكان المنفلوطي رمز اللغة وسياجاً لجمالها ،
ومعرضاً لحلاها . . .

عباس يومي عجلائ

تأنيج البحت

أولا - المتفوطى أديب مصرى فى صمات المجتمع المصرى وتوفى له به من التحلل اليتية والصفتا الخاصة ملا يتوفى لكثير من الأدباء . وقد عرفنا ذلك فى نسبة ونشأته ويؤتته .

ثانيا - يمتثل فى المتفوطى الأدب العربى خير تمثيل ويظهر ذلك فى اللغة التى صاغ بها فكره والموضوعات التى عالها .

ثالثا - المتفوطى أديب مسلم بكل ما تعمل عبارة مسلم من معنى ، ولربما كان المتفوطى التعبير الأدبى عن أفكار الامام محمد عبده فصحيح العقيدة ومغاربة البدع والاهواء ومهاجمة التصرف المزيف والسخرية من تجار الدين والمتفنين به كل ذلك تجده واضحا جليا فى أدب المتفوطى .

رابعا - كان أدب المتفوطى خير رد على مايشاع حول الأدب العربى من تخلف ورجمية وجود وكان أدبه واحه بنى ملها من اعياء وهج الحياة الأدبية وما رأت على صدره المعلوم والملات .

خامسا - كان ادب المتفوطى ذارسالة وموضوع ولم يكن أدبا انطباعيا صرفا ، وانما كان يكتب للناس لينفهم لا ليحبهم كما قال المتفوطى عن نفسه - وقد يتنا ذلك .

سادسا - اثر المنفلوطى فى الأدب العربى الحديث تأثيرا كبيرا فى الفكر والاسلوب . ولم يقتصر تأثيره على صغار الكتاب وإنما تأثر به كبارهم وترك بصمات واضحة على صفحة الادب العربى ربما لم تحس لأديب مثله .

سابعا - لم ينل المنفلوطى ما يستحق من اشادة ، وما يستأهل من تقدير وظل المرجفون يقصرون هوقه على النشاط اللفظى فقط زاعمين أن ذلك يشيد بغيره ، ويتقص من شأنه ، ولكتنا نينا أن المنفلوطى هوق فى الجانب الموضوعى والفكرى وما لج كثيرا من المشكلات ، وكان أدبه مرآة لما يعاينه قومه ، وما يعطل فى نفوس مواطنيه .

ثامنا - أدب المنفلوطى أدب غنى ثرى ذو جوانب متعددة واتجاهات مختلفة ولقد ما لج كثيرا من المشكلات التى تعانى منها مصر ، مثل التعليم ، والمرأة ، والمسرح ، والعادات والتقاليد .

بعض المراجع

- ١ - ديوان للكاشف تقديم المنفلوطي
- ٢ - الأدب العربي المعاصر في مصر تقديم دكتور شوقي الخفيف ص ٢٧٧
- ٣ - المحافظة والسجديد في النثر العربي المعاصر أنور الجندي
- ٤ - المنفلوطي حياته وأدبه رسالة ماجستير د. محمد أبو الأنوار
- ٥ - الانجازات الوطنية في الأدب المعاصر دكتور محمد حسنين
- ٦ - تراجم مصرية وغربية دكتور محمد حسنين هيكل
- ٧ - تطور الصحافة العربية دكتور ابراهيم عبده
- ٨ - زعماء للاصلاح أحمد أمين
- ٩ - المرأة الجديدة - قلم أمين
- ١٠ - الفن القصصي في الأدب المصري الحديث دكتور محمود شوكت
- ١١ - تطور الرواية العربية دكتور عبد المحسن بدر
- ١٢ - الأدب المصري الحديث دكتور القبط
- ١٣ - مطالعات في الكتب والحياة العقاد
- ١٤ - مراجعات في الأدب والفنون
- ١٥ - أولئك القراغ هيكل

- ١٦ - الأعلام للزركلي
- ١٧ - أدب المقالة الصحفية دكتور عبد اللطيف حمزة
- ١٨ - من حديث الشعر والنثر دكتور طه حسين
- ١٩ - حديث الأربعاء
- ٢٠ - النثر العربي المعاصر في مائة عام أنور الجندي
- ٢١ - الشرق في فجر اليقظة » »
- ٢٢ - اعلام وأصعاب أقلام » »
- ٢٣ - النثر العربي المعاصر » »
- ٢٤ - الصحافة السياسية في مصر » »
- ٢٥ - التطور في الشعر العربي الحديث دكتور ماهر حسن (١٩٩٧ ب مكتبة
نهضة مصر ١٩٥٨
- ٢٦ - فيض المخاطر د. أحمد أمين (١٩٦٦ ب)
- ٢٧ - الاعلام للزركلي ج ٨ (١٩٦٦ ب) طبعة ثانية
- ٢٨ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث أحمد أمين (١٩٨١) مكتبة النهضة
- ٢٩ - معالم التطور الحديث في اللغة العربية د. محمد خلف الله أحمد
ظبي عيسى البابي الحلبي
- ٣٠ - مبادئ النقد الأدبي ١٠١ ريتشاردز
- ٣١ - العناصر الإبداعية للعمل الفني دكتور مصطفى سوفي

- ٣٢ - منهج البحث في الأدب انسون ترجمة الدكتور محمد مندور
- ٣٣ - وحى القلم مصطفى صادق الرافعي
- ٣٤ - جدد وقدماء ملون عبود
- ٣٥ - مجددون ومجترون » »
- ٣٦ - الديوان المزني والعقاد
- ٣٧ - النوويات التي ورد ذكرها بالهوامش .

كتب تحت الطبع ومخطوطه :

أولا : الأبحاث والدراسات :

- ١ - جهود الراعى في الدفاع عن الإسلام . حصل على جائزة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- ٢ - الالتزام في الأدب . جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .
- ٣ - مكارم أخلاق الرسول .
- ٤ - الزبد . دراسات أدبية ومقالات نشرت بالمجلات الأدبية .
- ٥ - ابن شهيد الاندلسى ورسائله التواجم والزواج .

ثانيا : الشعر :

- ١ - من وحي الضياع مجموعة قصائد
- ٢ - الظمأ " " "
- ٣ - ترام رقم ٦ - مسرحية شعرية
- ٤ - أشلاء مجموعة قصائد
- ٥ - البداية مسرحية شعرية عن حرب أكتوبر ، حازت على جائزة لمجمع اللغة العربية ١٩٧٥م . ومهداه إلى سيده مصر الأولى جيهان السادات

العنوان : ٢٣ شارع عيسى ، محرم بك . الاسكندرية

الخطأ	رقم الصفحة	العواب	الخطأ	رقم الصفحة	العواب
عن جاء	٥	على جاء	بالتوقع	٢٠	بالتوقع
حي	٥	حتى	اسماعيل صدق	٢٠	اسماعيل
أن تلك	٦	أن لتلك	ويزلل	٢٣	ويزلل
بطي	٦	بط	نحو	٢٤	نحو
كأنى البيت	٨	عجزه محذوف	بارشاف	٢٤	بارشاف
إذا ما مشى	٨	صدره محذوف	الذي مهد	٢٤	بدها سطر ساقط
		أخو مائة يمشى	المسجد	٢٥	المجد
		الموينا	١١١٧ م	٢٦	١١١٧ هـ
أجلست	٩	جلست	يحيى	٢٨	مبثوثة
١٩١٩	٩	١٩٠٩	مثلا	٢٨	مثل
الحسن	١١	الجن	مائلا	٢٧	مائلا
آثر	١١	آثر	طبعة	٣٧	طبعة
ملا بين	١٢	ملا ما بين	نماذجه اللون	٣٣	نماذجه
يوقنون	١٢	يوقنون	واختارا	٣٤	واختار
أشباح	١٤	أشباح	وظا	٣٤	وظا
مقاس	١٤	مقاس	ومثيرة	٣٦	مثيرة
يوقه	١٥	يوقه على	(٧) مقال	٤٠ هـ	شرح ديوان
مزج	١٥	مزج	للتفوطى الخ		الحجاسة للرزوقي
النش	١٦	النش	الفصل الثاني	٤٦	من
إلا	١٦	ألا	أمس	٤٦	الباب الثاني
الأية	١٦	الأدية	يترس	٤٧	في أمس
بعض	٢٠	يعض			يترس

الخطأ	رقم المنحة	الصواب	الخطأ	رقم المنحة	الصواب
يقع	٤٩	يقع	سعيد	١٠٢	سعيد
حياته	٥١	حياته	المتقين	١٠٦	المتقين
تخلق	٥١	تخلق	حيناً	١١١	حيناً
ما رأينا	٧٩	ما ران	يبدى	١١٣	يبدى
يطيق	٨٢	يليق	الانجاء	١١٣	الانجاء
ضر	٨٤	ضرا	ومن المدارس	١١٨	ومن المدارس
وجئت	٨٤	ولا وجئت	أن توضع بعد		أن توضع بعد
كقرب	٨٥	كفر	مزوجاً بالتراب		مزوجاً بالتراب
الكفر	٨٥	الكافر	ص ١١٩		ص ١١٩
ورسائها	٨٦	ورؤسائها	العقيدة	١٢١	العقيدة
ونعوتها	٨٦	ونعوتها	معوتها	١٢١	معوتها
سوء	٨٦	شبيهاً	أقرب إلى	١٢١	أقرب إلى
محاولة	٨٧	محاورة	المأزل	١٢٤	المأزل
تنتصع	٨٧	تنتصع	أن يصغده و٥٥	١٢٤	أن يصغده و٥٥
التمو	٩١	التمو	أذنانهم	١٢٥	أذنانهم
دانت	٩٩	دارت	لخطاين	١٢٧	لخطاين
الترقيم (١)	٩٩	في ص ١٠٠	للكرة	١٣٠	للكرة
		رقم ١	وألغاظ	١٣١	وألغاظ
		في السطر الثالث	الذي	١٣١	الذي
		٣٤٢	وما العدوى	١٣٥	وما العدوى
		سطع في	وغلبت	١٣٩	وغلبت
		وركاكة	سيطرا	١٤١	سيطرا
			الإهال	١٤٣	الإهال

شركة الورق الأهلية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
وأولى شركات صناعة الورق بجمهورية مصر
ماتة عام في خدمة الاقتصاد القومي

تغطي أكثر من ٣٠٪ من احتياجات البلاد من جميع
أنواع الورق الثقاني والصناعي وأهمها أوراق :

الزبدة - المانيغول - المجلات - السجلات - الطباعة -
البوستر - السقيت - الكرافت - الكربون - اليرستول -
التواليت - الرسم - المانيلا .

فضلا عن أنواع كثيرة من الكرتون، ومواسير وأقناع الخزف

الانارة : الطاية - خط رشيد ٦١٢٣٠ تليفون

للمصانع : ١ - الطاية - خط رشيد ٦١٢٣٠ تليفون

٢١٣٠٢

ب - محرم بك - قنال الجمودية تليفون ٢١٣٠٣

٢١٣٠٤

٢٢٩٢٢

المكاتب : ٤٤ ش سعد زغلول اسكندرية تليفون ٣٠٦٣٨

١٩ ش عدلي بالقاهرة تليفون ٥٧٦٢٤

شركة مطابع محرم الصناعية ش.م.ع.

الإدارة والمصانع :

شارع قنال المحمودية - الزهنة - اسكندرية ٢ / ٧٦٨٥

مكتب القاهرة :

٣ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة ت ٥٥٢٨١ / ٥٠٣٤١

نشاط الشركة

الطباعة الفاخرة - صناعة عبوات وصناديق الكرتون المضلع

ورق اللب بنحت كلوب - ١١١ - ٥٦٥ - رسوم فرعونية

الورق المصنع - مرشحات السجاير الورقية - الورق المعالج كياويا

ورق العزل الكهربائي (برسان) وكرتون الجاكاردا

لماكينات النسيج

الورق المعالج للصق بالحراة

زيت زيتون جانا كليس

غذاء ودواء ..

مضمون النقاء ..

الاتاج الممتاز لشركة

الكروم المصرية

احدى شركات قطاع الزراعة والرى

الاسكندرية : تليفون ٢٠٣٥٤/٢١٧٢٨

القاهرة : تليفون ٥٤٢٣٨ / ٤٤١١٧ / ٩١٠٩٢١

يباع بالمجمعات الاستهلاكية

وكافة محلات البيع



هذا الكتاب جدير بالقراءة ،
لأنه يطيء اللثام عن رجل من رجال
النهضة الحديثة ، لم يسلم - رغم ما قدم
من التجريح والتجاهل . وهو يثير
بعض القضايا التي تحتاج إلى مراجعة
وتثبت . ويعبر في صراحة وصدق عن
مواقف أدبية في أمس الحاجة إلى
إعراب وجرأة . .

والمؤلف أدب شاب من الذين لا يتخذون الأدب تزجية للفراع . لا مأربا
لدى سلطة ، ولا نزفا لقضاء وطر . . !

وهو من الشباب المكافح العصامي المؤمن الذي يرى أن الأدب رسالة
للحياة ، واستيعاب للحضارات ، وكشف لمجاهل النفس والمجتمع . .

ولمؤلف تعثر في هذا الكتاب على طريف بقيد ، وأسلوب بعيد للعربية
بعض ماها ، ويحترم القارئ إذ يقدم له بحثا فيه من الجهد والنص
بالقراءة ، ويتغنى من ورائه النفع .

الناشر

الضمن . ٥ قرشاً

رقم الإيداع ٢



0360087